# حرب العرب واليهود عام ١٩٤٨م

## ١ ـ الصراع العربي اليهودي على أرض فلسطين وحرب عام ١٩٤٨م

**ـ مؤتمر لندن الثاني:**

ذكرنا من قبل ما كان بين بريطانيا والعرب بشأن فلسطين في مؤتمر لندن الأول وفشل هذا المؤتمر في التوصل إلى حل يرضي العرب واليهود معاً. . فقد كانت النقاط الرئيسية المطروحة في هذا المؤتمر تتلخص في تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق، منطقة عربية ومنطقة يهودية ومنطقة للقدس وأخرى للنقب. .[1]

ثم حاولت بريطانيا محاولة أخيرة للتوفيق بين العرب واليهود لتظهر أمام

---

(١) مشروع موريسون:

١ ـ تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق، منطقة عربية ومنطقة يهودية ومنطقة القدس ومنطقة النقب.

٢ ـ تشمل المنطقة اليهودية معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى الآن ومقاطعة كبيرة بين المستعمرات اليهودية وحولها. .

٣ ـ تشمل منطقة القدس مدينة القدس وبيت لحم والأراضي العربية منها.

٤ ـ تشمل منطقة النقب المثلث الصحراوي غير المسكون في جنوب فلسطين الواقع وراء المناطق المزروعة. .

٥ ـ تشمل المنطقة العربية ما تبقى من فلسطين وتكون صبغتها عربية تامة من جهة الأرض أو السكان. .

٦ ـ تكون حدود المناطق المذكورة حدوداً إدارية. . ولا يكون لهذه الحدود أي معنى يختص بأمور الدفاع والجمارك والمواصلات الا تكتسب شكلاً نهائياً لا يمكن تغييره بعد تثبيته الا بالاتفاق بين المنطقتين.

الرأي العام بمظهر المصلح الذي يبذل جهده ووقته من أجل خدمة السلام والإنسانية ولتصرف عن نفسها من طرف آخر نظرات الحقد والكراهية التي بات يرمقها بهـا المسلمون بغضب واشمئزاز. .

«ففي الثامن والعشرين من شهر يناير ـ كانون الثاني ـ من عام ١٩٤٧ دعت الحكومة البريطانية إلى عقد مؤتمر لندن الثاني، حيث وجهت سلطات فلسطين ـ البريطانية ـ الدعوة هذه المرة إلى الهيئة العربية العليا وإلى الوكالة اليهودية فاشترك وفد الأولى مع وفود الحكومات العربية، أما الثانية فتقيدت بقرار مؤتمر بال القاضي بعدم الاشتراك إلا على أساس الدولة اليهودية. . غير أن ابن غوريون حضر إلى لندن وكان على اتصال بالحكومة الإنجليزية أثناء انعقاد المؤتمر. . .

وتكلم جمال الحسيني وألقى بياناً وافقت عليه الوفود العربية وأعلن تصميم العرب على رفض أي شكل من أشكال التقسيم وقرر أن إنشاء الدولة الواحدة ووقف الهجرة هو السبيل العادل الوحيد لاقرار الأمن في الشرق والمتسق مع حق العرب وعهود بريطانية المتتابعة»[1].

«وأعلنت الحكومة البريطانية بلسان وفدها عدم إمكان قبول المشروع العربي وعادت إلى مشروع «موريسون» معتبرة إياه خير حل، وأدخلت عليه بعض التحسينات لصالح اليـــهود حيث ضمت إلى منطقتهم بعض أقسام النقب. . فرفضه العرب فعرضت مشروعاً جديداً عرف بمشروع «بيفن» أكثر دوراناً في نطاق

---

= ٧ ــ يقوم في كل من المنطقتين العربية واليهودية حكومة محلية ومجلس تشريعي ويكون لهما استقلال ذاتي واسع ذو صبغة محلية بالدرجة الأولى.

٨ ــ تقوم حكومة مركزية مختلطة شاملة للمنطقتين.

٩ ــ تقوم في كل منطقة هيئة تشريعية تنتخب انتخاباً. . ويعين المندوب السامي وزيراً أولاً ومجلس وزراء في كل مقاطعة ـ (محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ٦٤ المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٠. .

(١) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ٨٤. المكتبة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ طبعة ١٩٦٠.

الإنتداب . . . يقوم على أساس استمرار الانتداب خمس سنين أخرى ينشأ خلالها حكومات ومجالس محلية عربية ويهودية تتمتع باستقلال ذاتي على أن لا يؤدي ذلك إلى التقسيم حتماً وعلى أن تكون الهجرة منحصرة في المنطقة اليهودية وتابعة لقاعدة الاستيعاب الاقتصادي، فرفضه العرب مكررين القول: إن للعرب الحق في تقرير مصير بلادهم وأنهم غير مسؤولين عن مشكلة اليهود وحلها على حسابهم . . وسأل وزير المستعمرات عما إذا كانوا ـ العرب ـ يريدون من بريطانيا أن تغادر فلسطين وعما إذا كانوا مستعدين للمحافظة على النظام فيها فأجابوا بالإيجاب . . ».

**إحالة قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة:**

«وفي ٢ ابريل ـ نيسان ـ عام ١٩٤٧م وجهت بريطانيا إلى الأمين ـ السكرتير ـ العام لتلك الهيئة ـ الأمم المتحدة ـ كتاباً ترجو فيه:

١ ـ دعوة الهيئة العمومية إلى عقد دورة استثنائية من أجل تأليف لجنة خاصة لبحث المشكلة الفلسطينية.

٢ ـ درج هذه المشكلة في جدول أعمال الهيئة العمومية عند انعقادها في دورتها القادمة . . »[1].

كما قدمت بريطانيا مع طلبها اثنتي عشرة توصية كان أهمها بصورة خاصة:

١ ـ إنهاء الإنتداب على فلسطين.

٢ ـ منح فلسطين استقلالها التام.

٣ ـ على هيئة الأمم أن تضع في الحال ترتيبات دولية لمعالجة مشكلة الأوروبيين المشردين من يهود وغير يهود . . »[2].

واستجابت الجمعية العامة للأمم المتحدة لهذا الطلب «وانعقدت الهيئة في

---

(١) عارف العارف ـ النكبة، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ـ جـ ١ ص ٧ المطبعة العصرية ـ ١٩٥٦.

(٢) السابق جـ ١ ص ١٣.

٢٨ أبريل ـ نيسان ـ ١٩٤٧م، واشتملت الدولة العربية على الجليل الغربي ومناطق نابلس والقدس وغزة والخليل و /٦٥٠ ٠٠٠/ ستمائة وخمسين ألف عربي و /١١ ٠٠٠/ أحد عشر ألف يهودي و /١٢ ٠٠٠/ وإثني عشر ألف / كم٢ / مع التنبيه على أنه ليس في هذه المنطقة إلا نحو مائة ألف دونم زراعية[١] لليهود وعدد تافه من العقارات، واشتملت منطقة القدس الدولية على مائة ألف يهودي ومائة وخمسين ألف عربي أما أقلية اللجنة التي كانت تتألف من ممثلي الهند وإيران ويوغسلافية فقد اقترحت أن يقوم في فلسطين حكومتان مستقلتان في مساحات قريبة للمساحات المذكورة وأن يجمعهما إتحاد مركزي ورئاسة دولة واحدة ودستور واحد وأن تتناول سلطة الاتحاد وقضايا الدفاع والخارجية والمصالح الاقتصادية المشتركة وأن تنحصر الهجرة اليهودية بالمنطقة اليهودية على أن تكون في نطاق استيعاب تقرره لجنة مشتركة..»[٢].

وعلى هذا فإن اللجنة لم تأت بشيء جديد، فمشروع الأكثرية مشابه تماماً لمشروع موريسون الذي رفضه العرب واليهود معاً ومشروع الأقلية مشابه لمشروع لجنة بيل الملكية التي تعتبر أول من اطلع بمشروع التقسيم.

وعلى هذا فان مشاريع اللجان كلها تدور في فلك واحد مهمتها أن تعطي اليهود جزءاً من فلسطين مهما وضح الحق العربي ولكن الحق أمام وحوش الغابة لا يكفي فلا بد من قوة تدعم الحق.. ولكن أين توجد هذه القوة..؟ فالعرب منقسمون داخل فلسطين ومختلفون متربصون ببعضهم خارجها..!

فقد ذكر أحد الباحثين[٣] أن الملك عبد الله قد أقر التقسيم من قبل أن تضعه اللجنة الأخيرة على الرغم من أنه كان يعارض التقسيم ويصرح بأنه لا يخرج عن الإجماع العربي.

---

(١) الدونم يساوي ١٠٠٠م٢ أي ١٠٠٠٠٠ دونم تساوي ١٠٠كم٢

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها جـ ٢ ص ٩٧ ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٦٠.

(٣) مهدي عبد الهادي ـ المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤. ص ٨٢ ـ بدون مطبعة ـ ١٩٧٥.

ففي آذار ١٩٤٦ كلف الأمير عبد الله ـ قبل أن تتحول إمارته إلى مملكة ـ رئيس الأركان «الفريق جلوب باشا» بعرض مقترحات لحل المسألة الفلسطينية على اللورد موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط جاء فيها:

١ ــ تقسيم فلسطين بين شرقي الأردن ولبنان ومصر ـ لاحظ لم يذكر سورية لوجود خلاف كبير بينهما بسبب مشروع سورية الكبرى الذي نادى به عبد الله وعارضته بشدة سورية

٢ ــ يكون نصيب شرق الأردن منطقتي نابلس والقدس ويكون نصيب لبنان منطقة الجليل ويكون نصيب مصر منطقتي غزة وبئر سبع.

٣ ــ أما بقية فلسطين فتترك لليهود.

٤ ــ يكون لبريطانيا الحق في الإحتفاظ بحاميتين عسكريتين في القدس وحيفا

وهذه المقترحات المرفوضة من بريطانيا قبل أن ترفض من العرب تعطي مؤشراً كبيراً على التناقضات العربية بين التصريحات العلنية المتسمة بالوطنية وبين التنازلات السرية التي تتيح للعدو أخذ أكثر مما كان يتمناه وتصبح أطماعه لا حدود لها..

## قرار التقسيم

وفي ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧. طرح مشروع الدولة الموحدة للتصويت في اللجنة الخاصة فسقط حيث رفضته تسعة عشر دولة وأيدته إثنتا عشر دولة وامتنعت عن التصويت أربع عشرة دولة وكان من المؤيدين له عدا الدول العربية الدول الإسلامية الأربع: الأفغان وإيران والباكستان وتركيا، وكوبا وليبيريا.. وطلب العرب تحويل القضية إلى محكمة العدل الدولية فسقط إقتراحهم.. وفي ٢٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ طرح مشروع التقسيم فقبل بموافقة خمس وعشرين دولة ضد اثنتي عشرة دولة وامتناع سبع عشرة دولة عن التصويت.

وانتقلت القضية إلى الجمعية العامة للتصويت على هذا المشروع ليأخذ شكله القانوني.. ونشط العرب لشرح وجهه نظراً لاقناع بعض الدول الصديقة للتصويت ضد المشروع وقد بدا من خطب عدد غير قليل من ممثلي الدول أنهم مقتنعون بمنطق العرب وحقهم وكان منهم من يعلن أنه سيصوت معهم ومنهم من يعلن أنه سيمتنع عن التصويت لأنه لم يتبين وجه الحق في التقسيم.. وكان هذا نذيراً باحتمال سقوط التقسيم، لاسيما وأن الأكثرية التي نالها في اللجنة الخاصة كانت ضئيلة، وإقرار مشروع ما في الجمعية العامة يحتاج إلى أغلبية ثلثي الأعضاء.. وهنا خشيت الولايات المتحدة من سقوط مشروع التقسيم فقامت بنشاط محموم خلال الأيام الأربعة التي سبقت التصويت واستطاعت إقناع الدول الثلاث التي جاهرت برفضها الموافقة على التصويت وهي ليبيريا وهايتي والفيلبين حتى صوتت على مشروع التقسيم وقيل كان من وسائل اقناعها الرشوة والتهديد.. وفي مساء ٢٩ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ صوت إلى جانب التقسيم ثلاث وثلاثون دولة ضد ثلاث عشرة دولة وامتناع عشرة وغياب واحدة..

وبهذا المشروع يبدو جلياً تغلبُ قوى الكفر والإلحاد واجتماعُ كلمتهم على الباطل حتى تحت سقف الأمم المتحدة التي أنشئت لحماية حقوق الشعوب ولإقرار السلام وخذل العرب المسلمون بالرغم من سطوع الحق في جانبهم ومن مماألأتهم للتيارات العلمانية بأنهم سيقيمون دولة ديمقراطية في فلسطين متنازلين عن حق مشروع لهم في إقامة دولة إسلامية لأن فلسطين بلد إسلامي وشعبها شعب مسلم، لقد أفرطوا في التفاؤ ل عندما ظنوا بأن هذا التنازل سيقربهم من الاستقلال ويجعلهم في نظر الدول الكبرى دولاً تقدمية وبالتالي سينالون عطفها ورضاها وفاتهم قول الله تعالى: **﴿وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ اليَهُود وَلاَ النَّصَارى حَتَّى تَتْبعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَائَهُمْ بَعْدَ الَّذي جاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ الله وَلِيٍّ وَلاَ نَصِير﴾**[1]. **أثر قرار التقسيم في قضية فلسطين:**

---

(١) البقرة آية ١٢٠.

## أثر قرار التقسيم في قضية فلسطين:

من الواضح أن قرار التقسيم الذي صدر عن الأمم المتحدة قد أدخل في قضية فلسطين تعديلاً خطيراً، إذ الفرق عظيم في صفة القضية قبله وبعده ومهما يكن للقوة من أثر حاسم فإن للقرار الذي يصدر من هيئة الأمم قوة كبيرة أيضاً، خصوصاً إذا كان في صالح اليهود لأنهم يستطيعون استغلاله إلى أقصى حد ويصبح سنداً شرعياً لديهم يرسخون بواسطته حججهم الضعيفة ولو عدنا إلى ادعاءاتهم منذ بدء التخطيط لاحتلال فلسطين لوجدنا افتقار دعواهم إلى السند القوي حتى أن بعض الساسة البريطانيين ما كانوا يجرأون على التجاوب مع منطقهـــم الضعيف ولكنهم بعد وعد بلفور وإقراره من قبل عصبة الأمم كسبوا خطوة مهمة دفعتهم نحو تحقيق أحلامهم يقول أحد الباحثين: «وتصريح بلفور لم يأخذ صفته الملزمة وهدفه الواضح إلا بعد أن وثق بصك الإنتداب الصادر رسمياً عن عصبة الأمم وبني عليه كما لا يخفى حيث صار وثيقة دولية ملزمة اتكأ عليها كل من الإنجليز واليهود في تحقيق ما بيتوه»[1].

وها هم اليوم يضيفون على المكاسب السابقة مكسباً جديداً انتزعوه من هيئة الأمم، لقد منحتهم جزءاً مهماً من فلسطين لإقامة دولة لهم وهي منتهى ما يريدون في سياستهم المرحلية لكي يكون لهم أولاً موطىء قدم على الأرض العربية ومن ثم ينفذون بعد ذلك ما رسموه من خطط توسعية وقد تكون المرحلة التالية ما صرح به ابن غوريون عام ١٩٤٢ حين قال:

«إن الصهيونية قد انتهت من وضع مخططاتها النهائية وهي أن تصبح فلسطين دولة يهودية وأن اليهود لا يستغنون عن أي قسم من فلسطين حتى قمم الجبال وأعماق البحار»[2]. ولقد شجع هذا القرار النشاط الإرهابي الصهيوني في فلسطين وزادوا من عدوانهم لتسرع الأمم المتحدة في فرض التقسيم كما تغيرت

---

(١) السابق جـ ٢ ص ١٢١.

(٢) محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ـ حقائق عن قضية فلسطين ـ ص ٢٨ ـ مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة ـ طبعة ١٩٥٤م.

لغتهم فبعد أن كانوا لاجئين تعطف عليهم بريطانيا وتدخلهم فلسطين بشكل إنساني أصبحوا أصحاب حق ووطن وتاريخ غابر.. وعليهم أن يدافعوا عن وطنهم وعن حقهم المغتصب من قبل بريطانيا المستعمرة..!

والعرب الغاصبين..! فلما أعدم اليهود جنديين بريطانيين علقوا في عنقيهما إعلاناً جاء فيه: «أنهما أعدما لأنهما أعداء مسلحون في وطن اليهود الشرعي».

## بدء الصدامات الدموية:

«ولم تلبث الاصطدامات الدموية أن أخذت تقع بين العرب واليهود في المناطق المختلفة مثل يافا وحيفا والقدس وعلى الطرق المشتركة كذلك، ثم أخذ نطاقها يتسع بما كان يصل إلى العرب من بعض الوسائل وينضم إليهم من مجاهدين وقواد.. ولم يكن يمر على صدور القرار شهر حتى غدت فلسطين بركاناً يقذف بالحمم.. وكانت الحالة توصف بصفة المذابح بين العرب واليهود.. بحيث كان كل يوم يسفر عن عشرات القتلى والجرحى من الطرفين..»[1].

ومن تصاعد الاشتباكات الدموية بين الطرفين وصمود الشعب العربي في فلسطين رغم قلة الإمكانات المادية تراجعت بعض الدول عن تأييد قرار التقسيم «فسحبت كل من كندا وبلجيكا قرارهما بالتصويت لصالح التقسيم كما أن أمريكا أعلنت في ١٩ مارس ـ آذار ـ سحب حكومتها لتأييد التقسيم لأنه لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة ولا يمكن أن توافق على ذلك في حال من الأحوال واقترحت وضع فلسطين تحت الوصاية وإعادة القضية إلى الأمم المتحدة للنظر فيها ثانية»[2].

وجاء تأكيد لذلك في تصريح المفتي فقال: «وقد أبدى المجاهدون الفلسطينيون من البسالة والتصميم والتضحية ما ضمن لهم التفوق ورجوح

(١) السابق جـ ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٣.
(٢) السابق جـ ٢ ص ١٣٧.

الكفة على اليهود حتى أن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت بواسطة مندوبها في الأمم المتحدة في ٢٣ مارس ـ آذار عدولها عن تأييد قرار تقسيم فلسطين»[١].

ومهما يكن من خلاف في التاريخ بين القولين لا يتجاوز أربعة أيام فإنهما يتفقان على عدول أمريكا عن تأييد التقسيم والواضح من القول الأول أن سبب سحب التأييد راجع إلى أن تطبيق القرار سيكون باتخاذ العنف.. بينما يرى صاحب القول الثاني أن سبب العدول عن تـأييد التقسيم راجـع إلى قوة المجاهدين.. وهذا هو الراجح فأمريكا لا يهمها المحافظة على دماء العرب، ولو كان يهمها ذلك فعلاً لما صوتت على القرار ولما أجبرت عدداً من الدول التابعة لها على التصويت معها لتكسب الأغلبية وهي تعلم علم اليقين أن عملها هذا سيكون ضد إرادة العرب وأن أهل فلسطين لن يسلموا شبراً من أرضهم طواعية بل دونه الأرواح والمهج.. فما الذي جعلها تغير مواقفها وتتخذ قرارها بسحب التصويت..؟

لو تتبعنا مسار الحرب وسير القتال بين العرب واليهود بعد قرار التقسيم في الشهور الأربعة التي تلته، لظهر لنا خوف أمريكا واضحاً لا لبس فيه على اليهود من الإبادة، لذلك اقترحت عودة فلسطين إلى نوع من الاحتلال يختلف عن الإنتداب من حيث التسمية فقط وذلك لتتكامل قوة اليهود تحت الوصاية الدولية كما ترعرعت ونمت في ظل الإنتداب البريطاني.. إذاً كان سحب أمريكا تأييدها للقرار منبعثاً من دافع الخوف على اليهود وكان طلبها جعل فلسطين تحت الوصاية الدولية لتكسب عامل الوقت الذي كان لصالح اليهود لتوفر لهم أسباب البقاء والصمود وأن الحقيقة التي تؤكد ذلك ما يرويه المؤرخون عن سيرالحرب في تلك الأثناء «فقد دارت حركة الصراع قوية رهيبة في الأشهر الخمسة الأولى التي تلت قرار التقسيم وقبل زحف الجيوش العربية في ١٥ مايو ـ أيار ـ ١٩٤٨ ـ قوامها مجاهدو فلسطين وقوادهم ومتطوعو العرب المصريين والسوريين واللبنانيين

(١) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ص ١٧ ـ مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ القاهرة ـ ١٩٥٤م.

والعراقيين والأردنيين وأفواج جيش الإنقاذ. . وكانت الحرب سجالاً تقريباً في الأشهر الأربعة الأولى بالرغم مما أخذ يبدو من وفرة السلاح وجدته وبراعة القيادة والفن ويسر الوسائل الآلية والإسعافية عند اليهود وما كان عليه العرب من ضيق وضعف في كل ذلك. . وقد تفوق اليهود في الأيام الأولى بأعمال النسف فلم يلبث العرب أن كالوا لهم بكيلهم وأفقدوهم مزية التفوق واضطروهم إلى التردد بل والتوقف في ذلك. . ومن أهم ما كالوه لهم نسف شارع ابن يهودا وبنايات الوكالة اليهودية في القدس مما كان له دوي عظيم خسر اليهود فيه مئات الضحايا. . ثم تفوق العرب عليهم في معارك الطرق دون أن يفقدوا فيها مزية تفوقهم وأحرزوا فيها انتصارات باهرة وخاصة طريق القدس ـ يافا. . كما سجلوا انتصارات باهرة في مناطق عديدة أخرى وخاصة في مستعمرات الخليل ويافا والقدس. . وألجأوا بانتصاراتهم وصولاتهم كثيراً من سكان المستعمرات إلى التخلي عن منازلهم واللجوء إلى المدن. .

لقد استطاع العرب أن يشعروا اليهود بشدة الوطأة وأن يثيروا قلقهم ورعبهم في فلسطين وخارجها حتى صارت الصحف تذكر: «أن التقسيم قد قضي عليه وتنصح اليهود بمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه وبدا من بعض طوائف اليهود جنوح إلى التسليم وقبول التعاون مع العرب واعتقاد بأن مستقبلهم ومستقبل فلسطين مرتبط بذلك. . ولقد سرى التشاؤم إلى زعمائهم حيث صاروا يقولون: إن معركتهم خاسرة إذا لم يتيسر لهم فرقتان كاملتان في معداتهما تنزلان إلى الميدان خلال ثلاثة شهور. . »[1].

«ففي مكان يدعى بالدهيشة بين القدس والخليل نشبت معركة كبيرة في ١٧ مارس ـ آذار ١٩٤٨ م قتل فيها بضع مئات من اليهود ووقع منهم ثلاثمائة وخمسون أسيراً وغنم المجاهدون أسلحتهم وذخائرهم ونحو مائة وخمسين سيارة

(١) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص: ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

كان قسم كبير منها من المصفحات والمدرعات ووقعت معارك صوريف وبيت سوريك وسلمة ويافا ومعارك أخرى في المنطقة الشمالية قهرت فيها «العصابات» الفلسطينية اليهود وهزمتهم، ولما شرع اليهود في استعمال المتفجرات وعمدوا إلى النسف، قابلهم المجاهدون بما هو أدهى وأمر..»[1].

من هذين النصين التاريخيين يتضح لنا تفوق العرب وبالتالي قلق أمريكا على مصير يهود فحتى السابع عشر من شهر مارس ـ آذار ـ أي قبل إعلان أمريكا عن سحب تأييدها لقرار التقسيم بعدة أيام كانت ما تزال المبادرة الحربية بيد العرب «غير أن الحالة أخذت تتبدل منذ أواسط مارس ـ آذار ـ وأخذ التفوق والمبادرة يتحولان إلى جهة اليهود حتى كاد أن يصبح كاسحاً في أواسط شهر أبريل نيسان ـ وما بعدها وأخذ العرب يشعرون بالوطأة وتزداد صرخات استغاثتهم من شدتها وكانت للانجليز اليد الطولى في ذلك فقد قرروا وقف الإدارة المدنية وتصفيتها.. اعتباراً من أول مارس ـ آذار ـ وبدلوا صفة المندوب السامي فجعلوه حاكماً عسكرياً.. وأخذوا ينسحبون من تل أبيب والمناطق اليهودية ويتركون ادارتها لليهود ومنذ أواخر شهر مارس أخذت تظهر عند اليهود طائرات ومصفحات ودبابات ومدافع متنوعة وأخذت هذه الوسائل تساهم في المعارك والإشتباكات فضلاً عما أخذ يكثر من الضباط والقواد والجنود والروس وغير الروس فيكسب اليهود بذلك مزية التفوق.. ولقد تأكد أن جل الوسائل الحربية الثقيلة التي ظهرت عند اليهود كانت إنجليزية باعها الإنجليز لليهود على أنها مخلفات حربية.. كان منها أربعة وعشرون طائرة تدريب وسيارات وأسلاك وأجهزة رصد..»[2] ولما رأت أمريكا عودة العمل الحربي لصالح اليهود سكتت عن هذا القرار وتجاهلته تماماً ولم تعمل على تنفيذه فيما بعد.. بل اقترحت شروطاً للوصاية غير مقبولة تزيد من تعقيد القضية..

(١) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ـ ص ١٧ ـ مكتبة الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ القاهرة ـ ١٩٦٠.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ١٢٨ ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

ففي العشرين من شهر أبريل ـ نيسان عام ١٩٤٨ م «قدم مندوب الولايات المتحدة مشروع الوصاية المؤقت على فلسطين الذي اقترحته أمريكا..»[٢].

## الإجتماعات العربية لدعم فلسطين:

وبعد أن تطور الموقف بعد قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين وتفاقم الوضع الحربي عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اجتماعات عديدة في القاهرة في الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر ـ كانون الأول ـ شهدها جل رؤساء الوزارات العربية وقد أذاعوا بياناً خطيراً في تاريخ ١٧ ديسمبر ـ كانون الأول ـ ١٩٤٧ باستنكار التقسيم والعزم على مقاومته من قبل العرب حكومات وشعوباً..[٢] وبالرغم من اندفاع زعماء العرب الحماسي نحو فلسطين واتخاذ قرارات ذات أهمية كبيرة بشأنها إلا أن هذا الإندفاع كان ظاهراً فقط وللدعاية أكثر منه لاتخاذ الأعمال الجدية.. كما كان من أجل تهدئة الجماهير العربية التي تطالب حكوماتها بإلحاح وإصرار على اتخاذ التدابير الحازمة لإنقاذ فلسطين المسلمة، فنوايا بعض الزعماء العرب حتى ذلك الوقت لم تكن سليمة وجدية تجاه ما يحدث في فلسطين لقد كان المؤتمر غالباً ما يتحول إلى مؤتمر تظهر فيه الأطماع الشخصية أو المحاور السياسية المتناحرة بحيث يتحول عن عمد أو غير عمد عن غايته المعقود من أجلها وفي بعض الأحيان يتحول إلى نوع من المصالحة بين المتخاصمين لنزع ما في القلوب من ريبة وشك ولكن دون جدوى.. فحالما يخرج المؤتمرون من قاعة الإجتماعات ويتفرقون إلى بلادهم تعود ظاهرة الفرقة والريبة والشك إلى النفوس من جديد.. ففي مؤتمر عاليه ظهر جناح العراق ـ الأردن حيث وقفتا ضد المفتي فقد «حاول المفتي إقناع المؤتمرين في عالية كي يوافقوا على تأليف حكومة عربية في فلسطين إلا أن مندوبي العراق والأردن عارضا في تنفيذ هذا الاقتراح الذي من شأنه ـ كما قالا ـ أن يستفز

(١) السابق جـ ٢ ص ٦٠ ـ ٦١.
(٢) السابق جـ ٢ ص ١٢٤.

الرأي العام العالمي في هيئة الأمم.. وفي غيرها من البلدان التي تقاوم نشاطه وتخشى زعامته.. كما قام مندوب العراق بمسعى لتحسين الصلات بين الملك عبد الله ووفود البلاد العربية وكانت هذه متوترة.. فطار إلى عمان يرافقه أمين الجامعة عبد الرحمن عزام ووجه الملك دعوة إلى رؤ ساء الوفود ليزوروه في عمان فقبل الجميع الدعوة وأموا عمان.. إلا مندوب سورية، فقد منعه رئيس الجمهورية السورية من تلبية الدعوة.. ولكن رغم ما قيل من كلام معسول فإن الجو لم يتحسن وظلت الريبة تفعل فعلها بين الملوك والرؤ ساء..»[1] كما كان «بعض رجالات الحكومات العربية في اجتماعات الجامعة العربية لا ينظرون إلى ما يقال من احتمال إشتراك الجيوش العربية وتدخلها الفعلي أو وجوبها نظرة جدية، بل لقد طلب النقراشي رئيس الوزارة المصرية ـ ومصر أقوى وأغنى وأكبر دول العرب ـ تسجيل تحفظ صريح له بأن: «كل ما يمكن أن تفعله حكومته هو الاشتراك في التظاهر..»[1] ولقد ورد هذا التصريح من مرجع آخر[2] كالآتي:

«سجل النقراشي تحفظاً على عدم إدخال جيشه: أريد أن يعلم الجميع أن مصر إذا كانت توافق على الاشتراك في هذه المظاهرة العسكرية ـ أي الحشد على الحدود ـ فإنها غير مستعدة قط للمضي أكثر من ذلك»[3].

## مذبحة دير ياسين:

دير ياسين قرية عربية من قرى القدس وعلى بضع مئات من الأمتار إلى الغرب منها، يقطنها /٧٧٥/ سبعمائة وخمسة وسبعون نسمة كلهم عرب يملكون

---

(١) عارف العارف ـ النكبة ـ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ـ جـ ١ ص ١٦ ـ المطبعة العصرية ـ ١٩٥٦م.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ١١٨ ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ ١٩٦٠.

(٣) محمد امين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ـ ص ١٧٥ ـ مكتبة الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ القاهرة ـ ١٩٥٤م.

/ ١٧٠٠ / ألفاً وسبعمائة دونم من الأراضي الزراعية، فيها مسجدان ومدرستان واحدة للذكور وأخرى للإناث. . .

وهي محاطة من الشرق بمستعمرات مونتغيوري الجديدة وبيت فيغان والأحياء اليهودية الأخرى من مدينة القدس ومن الشمال إلى الشرق بمستعمرة جبعات شاؤول ومن الجنوب بمستعمرة يافتنوف ومن الجنوب إلى الشرق بيت هاكيرم ومن الغرب بأراضي موتزا وارزا. .

وعند اشتداد الحرب بين اليهود والعرب كان التفوق كما ذكرنا قبل أواسط شهر مارس ـ آذار ـ ١٩٤٨ لصالح العرب ـ خصوصاً في مناطق القدس فقد حاصرها العرب حصاراً رهيباً وكاد اليهود أن يموتوا فيها جوعاً وعطشاً ـ إذاً، كان اليهود وقتها في قلة من الماء والزاد حيث قطعه عنهم العرب وحاصروهم وضربوا السكة الحديدة التي تنقل لهم المؤ ن وأمام هذا الوضع المحرج كان لا بد لليهود من القيام بعمل ما مهما كان فظيعاً، ليعيدوا للنفوس طمأنينتها ويفتح لهم باب الأمل والرجاء ليوقعوا الرعب في قلوب العرب، فلم يجدوا سبيلاً أسهل من قرية دير ياسين التي كانت مجاورة لهم وتعيش حياة مطمئنة وكانت على حد اليقين بأن اليهود لن يعتدوا عليها إذ كان بينها وبينهم وعد بألا يعتدي أحد الفريقين على الآخر ـ وذلك عندما نشب القتال في القدس خاطب القائد اليهودي المسؤ ول عن جعبات شاؤول وجهاء القرية قائلاً :«ما لنا ولغيرنا اعملوا معروفاً وتعالوا نتفق فلا تعتدوا علينا ولا نعتدي عليكم. . فوافقه الوجهاء ولم يعتدوا على أحد، وكانت المخابرة قد جرت بين الفريقين عن طريق الهاتف ـ إنها القرية الوحيدة التي لم تبادر اليهود بقتال وما كان في مقدورها وعدد سكانها لا يزيد عن السبعمائة شخص إلا قليلاً. . أن تتحرش بجيران لها ينوف عددهم على مائة وخمسين ألفاً. .»

ولكن اليهود الذين لم يعتادوا احترام المواثيق والعهود قرروا إزالة هذه القرية من الوجود. . واشترك في هذه الجناية الحمراء رجال من عصابة الأرغون

وشتيرين الإرهابيتين.. بدأ الهجوم في الساعة الرابعة والربع من صباح يوم الجمعة الموافق ٩ ابريل ـ نيسان ـ ١٩٤٨ واشتركت في هذا الهجوم طائرة قذفت القرية بسبع من قنابلها[١] ثم تقدم المشاة يحميهم زهاء خمس عشرة دبابة هاجموا جميعاً قرية دير ياسين من ثلاث جهات الشمال والشرق والغرب. ومهدوا لهجومهم هذا بالقنابل التي قذفتها مدافعهم القوسية (المورتر) ورابطت غربي القرية قوة مهمتها أن تحول دون هروب السكان من هناك ولم يكن اليهود بحاجة لمثل هذا العدد الكبير.. إذ لم يكن في القرية سوى /٨٥/ خمسة وثمانين مسلحاً يحملون حوالي ستين بندقية من البنادق الاعتيادية الخفيفة وستة رشاشات خفيفة وذخيرة لا تكفي لأكثر من ساعة أو بعضها.. واستغاث سكان دير ياسين بالمالحة وعين كارم والقرى المجاورة إلا أنهم لم يغيثوها رغم أن فريقاً من جيش الإنقاذ كان يرابط يومئذ في عين كارم وكان عدد هذا الفريق ينوف عن المائة كلهم من السوريين والعراقيين فلم يركض هؤلاء أيضاً لإغاثة دير ياسين لا ولا زودوا المناضلين الفلسطينيين بالذخيرة والعتاد كما أن الجيش البريطاني ورجال البوليس الفلسطيني الذي وصلهم الخبر لم يركضوا لنجدتهم لا ولا الصليب الأحمر..

ومع ذلك فقد دافعوا عن قريتهم دفاع المستميت ولم يسلموها لأعدائهم إلا بعد أن كانت قد نفذت آخر طلقة لديهم وقتلوا ما لا يقل عن مائة يهودي وكان ذلك حوالي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ويحدثك سكان القرية عن بطولة أبنائهم في رد عادية اليهود أحاديث تدعو إلى الفخر والإعجاب.. ويدلك على ما أبداه أبناء دير ياسين من بطولة وشجاعة وصبر ما قاله مناحم بيجن نفسه الذي كان رئيساً لمنظمة الأرغون عن كثرة ضحايا اليهود بسبب نار العرب التي كانت حامية وقاتلة ومما قاله: أن المهاجمين اضطروا لأن يحاربوا العرب من شارع إلى شارع ومن دار إلى دار..

---

(١) هذا يثبت أن بريطانيا ضالعة مع اليهود في هذه المذبحة فمن أين لليهود بطائرة والانتداب ما زال قائماً؟!.. وامتلاك الطائرة يختلف بالطبع عن امتلاك الأسلحة الفردية لأنها تحتاج إلى مطارات.

وغادر القرية من غادرها من الشبان والرجال القادرين على المشي غادروها الى عين كارم وبقي من بقي من النساء والشيوخ والأطفال غير القادرين على المشي فدخلها اليهود وقتلوا الأشخاص الذين وجدوهم فيها..

ويروي صاحب كتاب النكبة فيقول: «حدثني فريق من شيوخ قرية دير ياسين أن اليهود قتلوا في ذلك اليوم مائة وعشرة أشخاص بينهم سبعة من الشبان المسلمين الذين دافعوا عن القرية وقتلوا في المعركة وأما الباقون وعددهم مائة وثلاثة فقد قتلوا في منازلهم وهم الذين لم يستطيعوا الهرب من القرية وأكثرهم شيوخ ونساء وأطفال وبينهم من حرم من نعمة النظر.. وبين النساء خمس وعشرون امرأة من الحوامل.. رموهن كلهن بالرصاص وكانت الفظائع في قتل الأطفال والشيوخ والنساء بعضهم أمام بعض حيث قتلوا الأطفال أمام أعين أمهاتهم وقتلوا الرجال أمام أعين نسائهم وأبنائهم ومثلوا بالجثث، منها ما رميت من شرفات المنازل ومنها ما ألقيت على قارعة الطرقات.. كما أرغموا نساء القرية على السير مشياً على الأقدام مكشوفات الرؤوس حافيات الأقدام بعد أن سلبوهن كل ما يملكن من حلي ونقود.. ثم وضع اليهود من تبقى في صف واحد معتزمين إبادتهم لولا أن جاء أحد قادتهم الطاعنين في السن فأشار بوقف القتل وسيق هؤلاء إلى الأحياء اليهودية في القدس وبعد أن أجري التشهير بهم أمام الناس كأنهم جناة جيء بهم إلى المستشفى الإيطالي.. وهناك أطلق سراحهم.. وهكذا تفرق أهالي القرية في أنحاء متفرقة من فلسطين... وما كاد أهالي دير ياسين يلتقون بسكان القدس والقرى المجاورة حتى كلموهم عن فظائع دير ياسين فدب الرعب في قلوب الناس، وراحوا يرحلون عن منازلهم حاملين معهم أنباء مختلفة عن الفظائع اليهودية...

وزاد من الهول بيانات المسؤولين والمقالات التي نشرت في الصحف والبيان الذي أذاعه أمين سر اللجنة العربية العليا واصفاً هذه المجزرة البشرية والفظائع الهمجية بأسلوب كان القصد منه تنبيه الشعب العربي في فلسطين وفي سائر الأقطار إلى الخطب الذي ألم بسكان هذه البلاد.. ولكن الريح هبت في اتجاه

معاكس وعمل ـ الطابور الخامس ـ عمله فراح ينشر بين أفراد الطبقة الساذجة أرقاماً مبالغاً فيها عن قوة اليهود الحربية وأسلحتهم ومقدرتهم على القتال مما كان له أسوأ الأثر في صفوف العرب..

وذكر المستر جريفيس رئيس بلدية القدس يومئذ أن مندوب الصليب الأحمر الدولي الدكتور دي رينيه الذي زار القرية فور وقوع الحادث ورأى كل شيء بعينه لم يذكر الأرقام على حقيقتها وإنما اكتفى بالقول «إن عدداً كبيراً من المدنيين غير المسلحين من كلا الجنسين ومن أعمار مختلفة قد ذبحوا ذبح الأنعام..»[1].

أما عدد الضحايا من هذه الجريمة فإن كثيراً من المراجع ترفعها إلى أكثر مما ذكر آنفاً فقد ذكر أحد المراجع[2] أن اليهود «داهموا قرية دير ياسين وفتكوا بنحو مائتين وخمسين من أهلها دون تفريق بين ذكر وأنثى وشيخ وطفل ومثلوا فيهم ببقر البطون وتقطيع الأيدي والأرجل..».

وذكر آخر «وتنكشف المعركة عن مذبحة رهيبة أقدمت عليها العصابتان ـ شتيرن والأرغون ـ اليهوديتان، فقد قضتا على جميع سكان القرية وقتلتا نساءها وأطفالها وألقيتا جثث ما يزيد عن /٢٥٠/ مائتين وخمسين ضحية في بئر هناك واعتبرتا ذلك انتصاراً باهراً لها بينما قدمت الوكالة اليهودية أسفها عن كل ذلك..»[3].

وذكر آخر: «دبر اليهود مذبحة دير ياسين القرية العربية التي تقع في ضواحي القدس الغربية ففي ١٩٤٨/٤/٩ م باغت اليهود من عصابة الأرغون وشتيرن سكان القرية الآمنين وفتكوا بهم دون تمييز بين الأطفال والشيوخ والنساء.. ومثلوا بجثث القتلى وألقوا بها في بئر القرية وبلغ عدد الضحايا /٣٠٠/ ثلاثمائة

(١) عارف العارف ـ النكبة ـ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ـ جـ ١ ص: ١٦٩ ـ ١٧٦ ـ المطبعة العصرية ـ ١٩٥٦م.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ١٢٩ ـ المكتبة العصرية ـ ١٩٦٠م.

(٣) مذكرات جنوب باشا ـ جندي مع العرب ـ ص ٤٧ ـ ترجمة عفيف حسن الصمدي ـ دار النشر للجامعيين ـ بدون تاريخ.

شخص أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ»[1].

وعلى هذا فإن المجزرة في دير ياسين كانت رهيبة يتراوح تعدادها حسب أغلب الإحصاءات ما بين (٢٥٠ ـ ٣٠٠) مائتين وخمسين إلى ثلاثمائة ضحية..

## هدف اليهود من وراء هذه المجزرة:

اتفقت كثير من المراجع على أن الهدف الرئيسي الذي أراد أن يحققه اليهود من جراء هذه المذبحة هو إلقاء الرعب في قلوب سكان فلسطين ليسهل على اليهود عملية الانتصار السريع واحتلال الأراضي دون عائق بشري..

«وكان هدف اليهود من وراء ذلك بعيداً، ونجحوا في تحقيقه إلى حد كبير فقد بعثوا الرعب والفزع في القرى العربية جميعاً، وأصبح الناس يهجرون قراهم لأبسط سبب وساعدت الصحافة العربية ـ عن غير قصد ـ على تحقيق أهداف اليهود بسردها تفاصيل الجريمة الوحشية..»[2].

وكتب باحث آخر: «كما أن اليهود طبقوا العملية على قرية ناصر الدين قرب طبريا إتماماً لتحقيق القصد الرهيب وإثارة الرعب في الشمال كما في الجنوب ولقد حققت المجزرتان اللئيمتان هدفهما في إثارة الرعب والذعر في أهل فلسطين فبادروا إلى الفرار والنزوح مع نسائهم وأولادهم للنجاة بأرواحهم..»[3].

وفي كتاب مذكرات جلوب باشا ذكر ما يؤيد هذه النوايا حيث قال: «عندما زار قائد بريطاني في الجيش العربي صديقه في الجيش الإنكليزي الذي ما زال في فلسطين وكان بخدمته ضابط يهودي فسأل الإنجليزي اليهودي عن الأعمال التي بيتها اليهود عند انتهاء الإنتداب لتحديد موقفهم من العرب فقال اليهودي

(١) السابق جـ ١ ص ١٨.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص١٣٠ ـ المكتبة العصرية ـ ١٩٦٠م.

(٣) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ١٨ ـ الطبعة الثانية ـ بدون ذكر مطبعة ـ ١٩٥٩م.

بصراحة تامة: سوف نقوم بعدة مجازر رهيبة نقضي بها على قسم منهم وحتماً سوف يفر القسم الآخر»[1].

## كلمة حول مجزرة دير ياسين:

لا أريد أن أعلق على هذه المجزرة من حيث أنها جريمة مأساوية كشفت عن خبيئات النوايا الخبيثة عند اليهود تجاه عرب فلسطين.. لأن الدارس لتاريخ اليهود لا يستغرب أبداً مما فعلوه.. فدينهم وتوراتهم المحرفة وتلمودهم الكاذب يأمرهم بذلك.. ولكن أريد أن أضع بعض النقاط للعبرة:

من شرح واقعة الحدث التي قدمتها نقلاً من المراجع.. نرى أن اليهود الذين كانوا محاصرين في منطقة القدس وكادوا أن يموتوا جوعاً وعطشاً خافوا من أن تقف قرية «دير ياسين» مع القرى المجاورة الأخرى فيشتد عليهم الأمر وتزداد وطأة الحصار.. وجرياً على عادة اليهود في الخداع، استطاعوا أن يخدعوا هذه القرية في الوقوف على الحياد.. فوافقتهم على ذلك وعاشت فترة هدوء آمنة مطمئنة وكأن ما يجري في فلسطين لا يعنيها في شيء.. أما الدافع لهذا الموقف فقد يكون الخوف من كثرة المستعمرات اليهودية المحيطة بها أو اقتناعها بالتعايش السلمي مع اليهود.. والظاهر أن اليهود قد انتقوا ضحيتهم بدقة فهم يعلمون عدم استعدادها واسترخائها إلى حد التثاؤب معتمدة على الوعود اليهودية الخادعة وربما مهد اليهود أيضاً عندما قرروا إحلال المأساة بها بتشويه إسم القرية وسمعتها فوصفوها بأنها قرية متعاونة معهم مما زاد من نفور جيرانهم العرب منهم في وقت كانت الشائعات عن الخيانة كبيرة ومنفرة لهول ما كان يحدث بسبب الخونة.. لهذا لم يندفع الجيران العرب ولا كتيبة جيش الإنقاذ القريبة لتلبية نداء الاستغاثة من دير ياسين على ما قدمنا نقلاً عن كتاب «النكبة».

---

(١) مذكرات جلوب باشا ـ جلوب مع العرب ـ ص ٤٢ ـ ترجمة عفيف حسن الصمدي ـ دار النشر للجامعيين ـ بدون تاريخ.

يقول كلوب باشا في مذكراته: «وفي منطقة القسطل دعت الهاجانات عصابتي شتيرن والأرغون لاحتلال منطقة دير ياسين وهذه البلدة كانت تعتبر بنظر العرب خائنة إذ كان أهلها في عرفهم يتعاونون مع اليهود وعندما أخذت القوات اليهودية باحتلال دير ياسين وبعد أن وقعت القرية في أيديهم أعلن العرب بأن المنطقة لم يكن بها أحد من المقاتلين بينما ذكر اليهود أنهم خسروا في هذه المعركة عدة ضحايا»[1].

وهذا هو السبب في تقاعس العرب عن نجدتها.. بينما يقرر مصدر آخر أن سبب تأخر النجدات منع بريطانيا العرب من دخول المنطقة..

ومهما يكن من خلاف في الرأي فإن المخابرة بين الطرفين، العرب في دير ياسين واليهود المجاورين وقول اليهودي المسؤول عن «جعبات شاؤول»: «ما لنا ولغيرنا اعملوا معروفاً وتعالوا نتفق فلا تعتدوا علينا ولا نعتدي عليكم.. فوافقه الوجهاء»[2] يعد تواطؤاً لا شبهة فيه ويؤكد أن هناك صلات بين القرية واليهود.. وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنْكُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُم أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُم وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[3].

فالقرية قدمت مصلحتها الخاصة على مصلحة الأمة العامة وأبت أن تقف مع المجاهدين وتناصب اليهود العداء.. بل والتهم لاعتقادها أن بمقدورها العيش معهم بسلام ونسيت أنهم دخلاء على البلاد غرباء غاصبون وأعداء في

---

(١) السابق ص ٤٢.

(٢) عارف العارف ـ النكبة ـ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ـ جـ ١ ص ١٦٩ المطبعة العصرية ـ ١٩٥٦م.

(٣) سورة الممتحنة آية ١ ـ ٢.

الديـن.. لذلك أرادت مشيئة الله تعالى أن يكونوا عبرة لمن خلفهم ممن يوالي اليهود ليروا الغدر بالقرية الوادعة المسالمة.. وأن ما أملوه من الأعداء هو وهم وحلم بعيد المنال.. ولو رجعوا لكتاب ربهم وقرأوا ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1] لما والوهم مقدار ذرة بل لوحدوا جهودهم مع إخوانهم ووقفوا صفاً واحداً أمام عدوهم.. لقد غاب عن هذه القرية كثير من العبر منها ما فعله اليهود من نقضهم للمواثيق في غزوة الخندق.. واليهود هم اليهود في كل زمان ومكان..

ولم أقدم هذه الكلمة لأنني أرضى لدير ياسين هذا المصير.. فهذا لا يرضاه مسلم ولقد اعتصر الحزن مني الفؤاد عما حل بهذه القرية من مآسي تجعلنا دوماً نشير بأصبع الاتهام إلى مسببها الأول المجرم مناحيم بيجـن ونتمنى أن يأتي يوم الانتصاف منه.. ولكن لا بد من ذكر الحقيقة للعبرة والتلاحم الجهادي فإن الذئب يأكل من الغنم: القاصية..

لقد كان لهذه المذبحة أصداء وردود فعل مختلفة على الصعيدين العربي والعالمي بالرغم من وجود حوادث يومية مختلفة ومعارك كثيرة دامية ينتج عنها عشرات القتلى والجرحى إلا أن هذه المجزرة بالذات حظيت باهتمام كبير فقد لفتت أنظار العالم إلى ما يجري في فلسطين من عدوان أثيم يرتكبه اليهود بحق سكانها العرب متجردين من كل القيم الإنسانية والأخلاقية.. ولما لهذه المجزرة من تأثيرها الموجع على العرب فقد ذكرها الملك عبد الله في تصريحه في أثناء زحف الجيوش العربية وهو يعدها واحداً من مبررات الزحف على فلسطين لتحريرها من الغزاة اليهود فقال: «وإن ذئاب العرب لكثيرة فإذا دخلت فتكت وإذا عضت أوجعت وأن كراتهم لمعروفة وصيحاتهم لمخوفة وأنه كان بقية أمل في إمكان إيجاد السلام والوفاق قبل حوادث دير ياسين وناصر الدين»[2].

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ١٤٣ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

## الزحف العربي الكبير على فلسطين:

تكلمنا سابقاً عن قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين الذي حاز على الأغلبية في ١٩٤٧/١١/٢٩ كما تكلمنا عن تصريحات بريطانيا عقب ذلك بتحديد يوم ١٩٤٨/٥/١٥ للانسحاب التام من فلسطين.. وبعد هـذين الحدثين ازدادت أعمال العنف بين العرب واليهود وحدثت في هذه الأثناء معارك عنيفة دامية سيطر فيها العرب على أجزاء كبيرة من فلسطين وحوصر اليهود في القدس حتى أشرفوا على الموت جوعاً وعطشاً ثم انقلب الوضع لصالح اليهود وظهرت عندهم أسلحة ثقيلة وآليات وطائرات فتكت كلها بشعب فلسطين فتكاً ذريعاً، وارتكبوا مجازر وحشية في المدن والقرى العربية أمثال مذبحة دير ياسين وناصر الدين ومذابح طبريا وحيفا ويافا..

وقد ظهر تحيز بريطانيا واضحاً لصالح اليهود ليس في مجال تزويدهم بالأسلحة فقط بل بالتدخل العلني لصالحهم، فعندما كان يحصرهم العرب وينزلون بهم الضربات الموجعة كانت تخف إليهم النجدات البريطانية وتحارب العرب إلى جانبهم حتى إذا ما انقلب ميزان القوى انسحبت وتركت مصير العرب بيد اليهود.. حدث ذلك في مواقف كثيرة إلى جانب سيطرتها على الجيش العربي الأردني بواسطة قواده الإنجليز الذين كانوا يأتمرون بأمرها...

ففي حيفا «قررت الحكومة البريطانية البقاء في حيفا لغاية ١٩٤٨/٨/١ م مع أنها قررت إخلاء فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ م ومع ذلك فقد أقدمت على فعلتها النكراء وسلمت المدينة إلى اليهود بطريقة بشعة وحشية، ففي صباح الأربعاء ١٩٤٨/٤/٢١ أخبر الجنرال (سيكويل) السلطات العربية في حيفا أنه قرر إخلاء المراكز التي كانت تحتلها القوات البريطانية وتفصل العرب عن اليهود ولم ينتظر حتى يستعد العرب ويجهزوا بعض القوات لاحتلال هذه المواقع بل انسحبت القوات الإنكليزية بخطة مدبرة وتقدم اليهود واحتلوا المواقع المحصنة.. وحال الإنكليز دون إشتراك سرية الجيش العربي في إنقاذ الموقف

ومساعدة العرب.. ونزح عن المدينه أكثر من /٧٠/ ألف سبعين ألف عربي لجأوا جميعاً إلى لبنان تاركين مدينتهم فقد كان سكان حيفا العرب أول دفعة كبيرة في قائمة لاجئي فلسطين»[١].

«ويقول أحد شهود العيان» أحمد الخليل رئيس محاكم صلح يافا :«رفض الجيش البريطاني / السماح لأية قوة عربية بدخول حيفا خوفاً من اصطدامها مع الجيش مؤكداً مسؤولية بريطانيا، وقد فوجئنا صباح الأربعاء الساعة الحادية عشرة حينما أبلغني الجنرال ومعي قائد حيفا العربي «أمين عز الدين» أن الجيش كان قد انسحب من حيفا منذ الصباح الباكر قائلاً: على العرب واليهود أن يتدبروا أمرهم عازياً ذلك للأوامر العليا التي تلقاها مؤخراً وشاهدت بعيني القوات الإنجليزية تجرد بعض العرب من سلاحهم وتفتشهم قبل بدء الهجوم اليهودي على الأحياء العربية»[٢].

كما فعل الإنكليز الشيء نفسه في حي القطمون وهو حي عربي له موقع هام في القدس لأنه يشرف على أغلب الأحياء العربية واليهودية في القدس الجديدة «وقد أمر الإنكليز القوات العربية بالتخلي عنه وجاء الإنذار إلى المسؤول عنها بقوله: إذا لم تسحب مدرعاتك وجنودك من القطمون حالاً سأضطر لضرب المدرعات والقنصلية بالقنابل الثقيلة» ولما أبرق المسؤول للملك عبد الله بهذا الشأن جاء الجواب: «بأن جميع وحدات الجيش العربي في فلسطين إنما وجدت هناك بأمر من الإنكليز وتحت إشرافهم التام»[٣].

وقد حصل في يافا تآمر مشابه لما حصل في حيفا.. «فقد أخلى الإنكليز المدينة في ١٩٤٨/٤/٢٤ م وتركوا مواقعهم التي تفصل بين العرب واليهود مما

---

(١) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ٢٣ ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٥٩م.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٢ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

(٣) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ٢١ ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٥٩م.

ادى إلى وقوع اشتباكات غير متكافئة أدت إلى إندحار العرب وهجرةَ أكثر من ستين ألف عربي»[1]

وكانت هذه الحوادث تصل إلى مسامع الأشقاء في الدول المجاورة، فتحرك نفوسهم للانتقام ولقتال العدو اليهـودي وتطالب دولها بفعل شيء حاسم تجاه فلسطين..

ولما اجتمع العرب لتقرير المرحلة النهائية حول التدخل العسكري أو الابقاء على الدعم المادي.. ظهر في المؤتمر رأيان، الأول يؤكد على وجوب الالتزام بمقررات عاليه وهي دعم المقاومة الفلسطينية ومدها بالمال والسلاح والرجال مع حشد الجيوش على حدود فلسطين للحالات الطارئة.. والقسم الثاني يؤكد على وجوب دخول الحرب بالجيوش النظامية لإنهاء الوضع بسرعة حتى لا تتفاقم الأزمة وتخرج عن حد السيطرة..

ويقول المفتي[2] : «وكان إجتماع الدول العربية في عاليه ـ لبنان ـ في السابع من أكتوبر عام ١٩٤٧ أن يكون المعول في حرب فلسطين على أبنائها وأن تمدهم الدول العربية بالأسلحة والأموال وما إلى ذلك من وسائل المساعدة.. وأن لا تدخل الجيوش العربية النظامية فلسطين.. ولكني عندما شعرت في الحين برغبة بعض الشخصيات العربية الرسمية في إدخال الجيوش العربية إلى فلسطين و باندفاعها في هذا السبيل أوجست في نفسي خيفة وأبديت ارتيابي وخشيتي من أن يكون وراء ذلك دسيسة أجنبية وعارضت في هذا معارضة شديدة ولم تكن جميع الدول العربية موافقة على إدخال جيوشها إلى فلسطين ولكن تيار الضغط الأجنبي على بعض الشخصيات المسؤولة في الدول العربية في ذلك الحين كان بدرجة من الشدة اجتاح معها كل معارضة..»ثم يتابع حديثه ويقول: «إن المرحوم النقراشي أسر إلى أحد كبار المصريين وقتئذ ـ ليهدىء من روعـه

(١) السابق ـ جـ ١ ص ٢٣.

(٢) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ـ ص ٢٢ ـ مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين بالقاهرة ـ ١٩٥٤م.

ومعارضته ـ أن الإنكليز متحمسون لدخولنا الحرب وأنهم وعدوه بمد الجيش المصري بالأسلحة والذخيرة التي يحتاج إليها. .» ويظهر من هذا القول أن المفتي هو من أشد معارضي تدخل الجيوش العربية في فلسطين. . ويؤيد تركها لأهلها ليدافعوا عنها مع مدهم بالمساعدات أما السبب في ذلك فيذكره بقوله:

«لأنهم ـ أي أهلها ـ أعرف بمواقعها وطرقها ومسالكها ولأنهم أشد تصمياً واستماتة في الذود عن أهليهم وأموالهم وديارهم بالإضافة إلى أنهم أقل نفقة من المتطوعين أو الجنود القادمين من خارج فلسطين. .»[1].

ويناقش أحد المحاربين في فلسطين هذين القولين فيقول: «والفكرة التي تقول: إن دخول الجيوش العربية لفلسطين كان بداية الكارثة التي أحاطت بها وأن فلسطين لم تكن في حاجة إلا لعصابات تعمل بحرية ولا تتقيد بقرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم. والواقع أن هذا الرأي لم يظهر إلا عقب الهزائم التي منيت بها الجيوش العربية والتي ثبت أن بعض أسبابها خضوع هذه الجيوش لقرارات مجلس الأمن بوقف إطلاق النار. .

والرد على هذا الرأي أن العصابات لا يمكن أن تقاتل عصابات مثلها وتنتصر عليها وأن العصابات لا يمكن أن تحسم الحرب بمفردها ولكنها كانت ولا تزال دائماً سلاحاً خطراً لو سارت في ركاب جيش منظم وأحسن تدريب أفرادها وقيادهم. . أما دخول الجيوش نفسها فلا غبار عليه ولا مفر منه ولا يمكن أن تحسم الحرب بدونه لا في الماضي ولا في المستقبل إذا أردنا حقاً أن نعاود الكرة لتحرير الأرض المقدسة. .»[2].

والحقيقة تكمن في إخلاص النوايا أكثر منها في طريقة مناقشة الوضع الأمثل لإدخال الجيوش أو الإكتفاء بنشاط المجاهدين. . فهذه مرحلة تالية تعقب النية

---

(١) السابق ص ١٧٤.

(٢) كامل إسماعيل الشريف ـ الأخوان المسلمون في حرب فلسطين ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م ـ ص: ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ الطبعة الثانية ١٩٥١م.

الصادقة والهدف الواضح من الحرب.. إذ ما الفائدة من دخول الجيوش العربية إذا ساءت النوايا..؟ إنها لن تجني سوى الخسران وستكون الهزيمة محققة والخسائر مضاعفة بحيث نفقد الأرض والجيش معاً..

لقد كانت هناك مؤامرة فعلاً تدبر لفلسطين، وكانت بريطانيا لا تزال مصممة على منح اليهود وطناً قومياً حسب وعودها لهم وأن أركان المؤامرة دول متعاونة مع بريطانيا كانت حتى ذلك الوقت تعتبر من أقوى الدول العربية من حيث الجيش والمال.. لهذا سيطر رأيها في المؤتمر عندما قررت إدخال الجيوش العربية في الحرب.. وهو قرار مشرف وبطولي لولا ما رافق هذه الجيوش من تعليمات محددة الأهداف والغايات المقيدة لحركتها بحيث لا تستطيع تجاوزها، فتحول القصد الظاهر المعلن إلى قصد خفي يحمل الشقاء والبؤس لشعب فلسطين.. وأصبح الأمر لا يعدو عن كونه مظاهرة لذر الرماد في العيون قصد منها إقناع الشعب العربي بالعمل الجاد للتحرير والسعي اليه بكل الثقل العربي.. لقد سجل النقراشي ـ رئيس وزراء مصر ـ تحفظاً حين قال: «أريد أن يعلم الجميع أن مصر إذا كانت توافق على الإشتراك في هذه المظاهرة العسكرية فإنها غير مستعدة للمضي أكثر من ذلك»[1].

كما يظهر أيضاً من التعليمات الصادرة من قيادة الجيش الأردني لجيش الإنقاذ حينما أراد أن يعبر الأراضي الأردنية متوجهاً إلى فلسطين «ففي التاسع من يناير ـ كانون الثاني ـ عام ١٩٤٨ م تم إرسال أول فوج من جيش الإنقاذ إلى فلسطين عن طريق شرق الأردن ولم يسمحوا للفوج بالمرور إلا بعد أخذ رأي الوزير المفوض البريطاني والذي اشترط:

١ ـ أن يمر الفوج سراً وبعد منتصف الليل.

---

(١) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ـ ص ١٧٥ ـ مكتب الهيئة العربية العليا بالقاهرة ـ طبعة ١٩٥٤م.

٢ ــ أن يمر الفوج دفعة واحدة وأن يسمح بتسيير حرس أردني في مقدمته ومؤخرته إلى أن يجتاز الحدود الأردنية.

٣ ــ أن لا يمر الفوج إلى منطقة القدس بل إلى منطقة عربية بحسب مشروع التقسيم...

كما اشترط على قائد قوات الميدان في جيش الانقاذ:

١ ــ أن لا يحارب في فلسطين إلا بعد جلاء بريطانيا عنها.

٢ ــ ألا يعسكر إلا في أرض عربية بحسب قرار التقسيم..»[١].

كما يذكر قائد الكتيبة السادسة في الجيش الأردني أن الأمر الصادر له من الجنرال كلوب كان فيه عدة تعليمات منها:

«لا يجوز الاشتباك مع اليهود والتعرض لهم بشكل من الأشكال»[٢] ويذكر أيضاً أن الجنرال كلوب جمع «قادة الفرقة والألوية والكتائب وأركان حربهم وحينما التفوا حوله.. قال: إن الجيش سيدخل بعد الساعة الثانية عشرة إلى فلسطين عن طريق جسر اللنبي ـ أريحا ـ الجفتلك ـ نابلس ـ وقال إن قائد الفرقة وقادة الألوية يعرفون المناطق التي سيعسكرون بها..» وأنهى حديثه دون أن يتعرض لجوهر الموضوع وهو «القصد» من دخول الجيش العربي إلى فلسطين وبعد أن افترقنا تساءل الضباط العرب «همساً» عن الأسباب التي جعلته يختار الطريق الطويلة غير المعبدة لمرور الجيش إلى نابلس ولم يختر طريق أريحا ـ القدس..!؟

ثم جمعهم ثانية وأخبرهم عن الأسباب التي جعلت الجيش العربي يتجه إلى نابلس ويتحاشى المرور بالقدس وهي:

١ ــ موافقة الجامعة العربية على استثناء القدس من خطط الجيوش العربية.

٢ ــ وجود هدنة بين العرب واليهود في القدس.. يشرف عليها قناصل الدول الأجنبية.

(١) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ١١ ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٥٩.

(٢) السابق جـ ١ ص ١٧.

٣ ـ الوضع السياسي للقدس واحتمال جعلها دويلة مما يمنع الجيش العربي من الاقتراب منها[١] كما يظهر من تصرف الجيوش العربية حينما دخلت فلسطين بحيث لفتت الانتباه إلى أنها تنفذ سياسة لا تتفق مع أهداف الحرب فقد وصفها أحد المشاركين في الحرب فقال: «والعجيب أن الخطة التي رسمها المستعمر لإبعاد الشعب الفلسطيني عن مسرح القتال ومعالجة قضيته بنفسه هي الخطة التي سارت عليها الجيوش العربية المنقذة فلم تكد تدخل فلسطين حتى بادرت بحل المنظمات العسكرية ونزعت السلاح تدريجياً من المجاهدين.. وكانت هذه إحدى الأخطاء الكبرى التي عجلت بنهاية الحرب وختمتها على صورتها المفجعة»[٢].

«واصطدم الجيش العراقي مع مستعمرة «كيشر» الحصينة وعندما ترنحت المستعمرة جاءت الأوامر من عبد الإله بانسحاب الجيش إلى نابلس وذلك لأن منطقة جسر المجامع والعفولة وحيفا كانت من نصيب اليهود فانسحب الجيش العراقي إلى أراض عربية»[٣].

ولقد ظهرت لدى بعض الدول العربية ذاتها أطماع في فلسطين لأنها لما أحست بأن فلسطين مأكولة لا محالة أرادت أن تساهم بأكل جزء منها جرياً على المثل القائل:

إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي  وإلا فـأدركـني ولـمـا أمـزق

فرضيت بالمشاركة في الأكل لا في الإنقاذ أو الإنفراد به لوحدها..

وهذا يذكرنا بمقترحات الأمير عبد الله عام ١٩٤٦ «عندما كلف رئيس الأركان الفريق كلوب باشا بعرض مقترحات لحل المسألة الفلسطينية على اللورد

---

(١) السابق جـ ١ ص ٧٨.

(٢) كامل اسماعيل الشريف ـ الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ص ٧٨ ـ الطبعة الثانية ١٩٥١.

(٣) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ١٩١ ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩م.

موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط جاء فيها:

- تقسيم فلسطين بين شرقي الأردن ولبنان ومصر.
- يكون نصيب شرقي الأردن منطقتي نابلس والقدس.
- يكون نصيب لبنان منطقة الجليل.
- يكون نصيب مصر منطقتي غزة وبئر سبع.

أما بقية فلسطين فتترك لليهود ـ ويكون لبريطانيا الحق في الإحتفاظ بحاميتين عسكريتين في القدس وحيفا[1].

ثم أعقب ذلك لقاءات مع بعض زعماء العدو اليهودي كان من بينها لقاءه مع شرتوك وزير خارجية اليهود. . كان ذلك في الثاني عشر من شهر ابريل ـ نيسان ـ ١٩٤٨ م «وفي اليوم المحدد ادعى جلالة الملك أنه يرغب في زيارة مقام الصحابي الجليل أبي عبيدة بن الجراح وهو قريب من جسر المجامع، وتوجه جلالته وبرفقته قاضي القضاة محمد الشنقيطي ومحمد الضباطي ـ مدير الخاصة الملكية ـ وسيارة واحدة من الحرس الملكي وحينما وصلوا للغور مروا بالفعل على مقام أبي عبيدة وتفقد جلالته الإصلاحات التي قامت بها دائرة الأوقاف ثم نزل بعدها إلى مزرعة الضباطي لتناول طعام الغداء ومن مزرعة الضباطي ضاع أثر جلالته وأخفى حرس المزرعة النبأ إذ أن جلالته انتقل بين الأشجار إلى المستعمرة التي بنيت للمشروع ـ مشروع روتنبرج للكهرباء ـ في أراض أردنية وهناك كان شرتوك وأبو يوسف ـ مدير المشروع ـ في استقبال جلالة الملك وكان وصوله وقت الغداء فجلسوا إلى المائدة وبعد تناول طعام الغداء اختلى جلالته بشرتوك وأبي يوسف وحضر الخلوة الشنقيطي ولم تدم الخلوة أكثر من ساعة ظلت الأبحاث التي دارت فيها سراً إلا ما كان يتفوه به جلالته بعد ذلك بما عرف عنه من

---

(١) مهدي عبد الهادي ـ المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ـ ٩٣٤ ـ ٩٧٤ ـ ص ٨٢ ـ ١٩٧٥م.

صراحة وكان أهم ما اتفق عليه في ذلك الإجتماع هو قبول الطرفين لمشروع التقسيم والعمل على تنفيذه. . »[1].

كما اجتمع الملك عبد الله بجولدا مايرسون ـ جولدا مائير ـ في عمان بتاريخ ١١ و١٢ و١٩٤٨/٥/١٥ حيث حضرت إلى عمان متنكرة مع محمد الضباطي «وقدمت جولدا في الإجتماع طلبات الوكالة اليهودية وكانت كالتالي:

١ ــ أن يعلن جلالته الصلح مع اليهود ولا يبعث بجيشه إلى فلسطين بالمرة.
٢ ــ أن يرسل جلالته والياً يحكم القسم العربي من فلسطين بحسب قرار التقسيم.
٣ ــ ومقابل ذلك تقبل الوكالة اليهودية ضم القسم العربي من فلسطين إلى التاج الهاشمي.

وقد رفض جلالته تنفيذ الشرط الأول لأنه يظهر جلالته بمظهر الخارج عن إجماع الصف العربي والدول العربية التي صممت على إرسال جيوشها لإنقاذ فلسطين، إنما تعهد جلالته ألا يحارب الجيش الأردني والعراقي اليهود وأن يقف الجيشان في الحدود التي رسمها التقسيم ولايتعدياها. . . وأخذت عليه عهداً بذلك»[2].

ولما كثر الخلاف وتشعبت الآراء حسب الأهواء وبدا أن كل دولة أصبحت تصدر رأيها وفق نوايا مبيتة هدفها الاستفادة من الوضع المتداعي في فلسطين وإحراز مكتسبات إقليمية خططت لها سلفاً، أنهى الملك فاروق هذه المجادلات المكشوفة وأطلق تصريحاً وضع فيه الجميع أمام مسؤ ولياتهم التاريخية تجاه فلسطين حيث قال: «إنه إذا دخلت الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها فيود أن يفهم بصراحة أنه يجب النظر إلى هذا التدبير كحل مؤ قت خال من كل صفة من

(١) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ـ ص ١٩١ ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩م.
(٢) السابق جـ ١ ـ ص ٦٧.

صفات الاحتلال والتجزئة وإنها بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أهلها ليحكموها كما يريدون»[1].

وأيده الملك عبدالله فوراً ليبعد عنه تهمة التوسع وضم جزء من فلسطين إلى دولته فقال: «إنه لقول كريم فاه به ملك عظيم... فليس الوقت وقت فتح أو طمع لأي دولة من دول الجامعة ولكنه وقت جهاد وصبر وتنظيم وإذا أدخلت الدول العربية جيوشها فلسطين فلا شك في أنه لا يكون إلا بإجماع منها وتحمل المسؤوليات كلها، وفلسطين بعد إنقاذها هي فلسطين ولأهلها الكلمة.. الأخيرة فيما يعود عليها بلا إكراه ولا إجبار»[2].

لكن ما حدث بعد الحرب فعلاً جاء مخالفاً لتصريح الملكين لأن الذي استفاد من حرب فلسطين هما مصر والأردن حيث ضمت الأولى قطاع غزة وضمت الثانية الضفة الغربية...

ويتوضح لنا عمق المؤامرة على فلسطين معارضة الدول العربية في قيام حكومة فلسطينية تدير شؤون فلسطين وهذا هو الخطأ الفادح الذي ارتكبته الدول العربية بحق فلسطين عن سابق عمد وإصرار.. وذلك ليسهل التقسيم عندما يصبح القطيع بلا راع يرعاه وهذا ما حدث فعندما هزمت الجيوش العربية في الحرب فرت إلى بلادها بين مستسلم ومنسحب ومفاوض... ولو كان لفلسطين حكومة تدبر أمرها لما حدثت هذه الكارثة خصوصاً إذا تتابع إليها المدد من جيرانها حتى ولو كانت هناك هزيمة لما كانت بمثل هذا العنف وهذا الخزي... ولكان أقل ما فيها هو الاحتفاظ بالمناطق التي نصت عليها الأمم المتحدة بقرار التقسيم.. حتى وإن احتل اليهود أكثر من ذلك فإنه من غير المحتمل أبداً أن تعترف بهم حكومة فلسطين أو تقر باغتصابهم، ولكان اسمهم في العرف الدولي مغتصبين.. على عكس ما حدث عندما انسحبت الجيوش

---

(١) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ـ ص: ١٤١ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

(٢) السابق جـ ٢ ص ١٤١.

العربية التي تعتبر دخيلة في نظر العرف الدولي فإن البلاد التي أخلتها أصبحت بلاداً محررة من الجيوش الغازية وقد صرح أحد قواد اليهود أثناء تبادل الأسرى خلال الهدنة الأولى فقال: «لقد نجحنا في إخراج الشعب الفلسطيني من المعركة وهو الذي مارس قتالنا خلال أعوام طوال أما أنتم أيها الغرباء فلن نأبه لكم ولن يصعب علينا إلقاؤكم في البحر متى جاء الوقت المناسب»[1].

وهكذا غنم اليهود أكثر مما أعطي لهم بقرار التقسيم.. وبالحكومة الفلسطينية ربما ستكون مآسي النازحين واللاجئين أقل فجيعة مما حصل لأنهم كانوا سيجتمعون في دولتهم المتبقية لهم ويلتفون حول زعامتهم، ويعدون أنفسهم ليوم الثأر، خصوصاً إذا إنهالت عليهم المساعدات العربية، بدلاً من عيشهم الآن تحت رحمة الدول العربية التي حجرت عليهم وأماتت روح الجهاد عندهم خوفاً من أن تمسهم ــ إذا ساعدوهم فعلاً ــ حراب اليهود الباغية...

## تصريحات المسؤولين العرب قبل الزحف الكبير:

قرر العرب التدخل الرسمي في ١٢ ابريل ـ نيسان ـ لكن بريطانيا أعلنت أن أي تدخل عسكري قبل ١٥ مايو ـ أيار ـ يعد اعتداء عليها تقابله بالقوة وأنها ستظل مسؤولة عن فلسطين وأمنها إلى ذلك الوقت..

وسقطت المدن حيفا وطبريا واحدة بعد الأخرى.. وسقطت معها جبهة المنطقة الساحلية الغربية ومعظم جبهة الجليلين الشرقي والغربي..[2].

وكانت الجيوش العربية في أثناء ذلك ترقب الأحداث الدامية وترى سيول اللاجئين الهاربة من بطش اليهود إلى الدول العربية المجاورة وهي عاجزة عن التدخل لإنقاذهم... لقد تركوا في هذه الفترة بحالة سيئة يرثى لها دون أن تمتد

---

(١) كامل اسماعيل الشريف ـ الأخوان المسلمون في حرب فلسطين ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م ـ طبعة ١٩٥١م.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ـ ص ١٣١ ـ المكتبة العصرية ـ ١٩٦٠

إليهم يد المساعدة إلا من تطمينهم بأن يوم ١٥ مايو ـ أيار ـ قريب وسيكون فيه الكلام الفصل.. وقبل دخول الجيوش العربية بأيام قلائل.. بدأت التصريحات النارية من الزعماء العرب التي توعد وتهدد اليهود بالمصير الأسود وبالسحق والمحق في ساعات معدودة... كما كان بعضهم مرتجفاً خائفاً كأنما يمهد بتصريحاته تلك لينال بها إذن الدخول من الدول الكبرى ويقدم الأعذار التي دعته إلى الدخول في الحرب...

فقد قال عبد الرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية: «إن العرب سينفذون القرارات التي قرروها بجميع الوسائل وأن هيئة الأمم قالت إن قرارات العرب مجرد كلام وستـرى أنه ليس كـلاماً وأن تنفيـذها سيكـون قاسياً..»[١]. وقال أيضاً: «إن ما حدث في فلسطين ليس شيئاً لم يكن مقدراً وكل دور من أدوار هذه المعركة الفلسطينية محسوب للقيادة العسكرية منذ تحشيد الجيوش العربية على الحدود..

والذين يرجفون بأقوال ضارة ومشككة في بعد نظر القيادة العربية ويشيعون بذلك السوء والفتنة ويلقون الذعر يخدمون الأعداء سواء أكانوا يعرفون الحقيقة أو يجهلونها..»[٢]. وقال رئيس جمهورية لبنان في بيان أذاعه وهو يوصي «بالأمل والصبر والأناة وإسعاف اللاجئين بالمأوى والمأكل والترفيه..!

وانتهى إلى القول: إن العـرب مجهـزون بـأحـدث السـلاح وأفتـك العتاد؛!!»[٣] وقال رئيس وزرائه؛«إن الجامعة قد دبرت كل أمر وأعدت لكل شيء عدته»[٤]. وقال جميل مردم رئيس وزراء سورية: «إن العرب مصممون على المضي في خططهم وتدابيرهم مستمرة حتى ينال العرب ما يطلبون من

---

(١) السابق جـ ٢ ص ١٢٢.
(٢) السابق جـ ٢ ص ١٤٤.
(٣) السابق جـ ٢ ص ١٤٤.
(٤) السابق جـ ٢ ص ١٤٤.

حقوق مشروعة»[1]. وقال نوري السعيد وزير خارجية العراق: «إن مشروع التقسيم خطة مخيفة لا يمكن أن ترضى الأمة العربية بها وإننا مستعدون للنضال عن فلسطين لمحو هذه الخطة وإن الحكومات العربية ستقف صفاً واحداً في هذه الفترة التاريخية، إن أمريكا غادرة وقد عرضت سمعتها ومصالحها في الشرق الأوسط لأسوأ مستقبل وحاضر..

فقد وطدنا العزم على مناهضة هذا المشروع الخطير، وهناك خطط أخرى لمقاومة التقسيم قد لا تخطر ببالكم الآن..!!»[1].

وقال الملك عبد الله مطمئناً رؤساء الدول في اجتماع درعا ١٩/٥/١٩٤٨م: «إنني أطمئنكم بأن الجيش العربي سيحتل القدس في ٤٨ ساعة ثم يزحف إلى رأس الحية»[2] وقال أمين الحسيني ينتقد تصريحات المسؤولين: «لقد كانت المعالجة العربية السياسية والعسكرية لهذه القضية غاية في الهزال والإهمال وكانت الإجتماعات تعقد لمجرد الكلام والخطب الضخمة الجوفاء إلا من التهديد والوعيد بإلقاء اليهود في البحر وشرب القهوة العربية على شاطىء تل أبيب بعد النصر المبين.. وما إلى ذلك من محاولات الاستغلال المحلي الذي كان يرمي اليه بعض الساسة تقوية لمراكزهم أو تدعيماً لمناصبهم وقد خدعتهم وعود المستعمرين الذين كانوا يؤكدون لهم أن اليهود لن ينالوا أكثر من منطقة صغيرة (كانتون) على الشاطىء من تل أبيب إلى عتليت بالقرب من حيفا»[3].

ويروي أحد الباحثين ما كان يصرح به العسكريون الكبار في ذلك الوقت فيقول: «دخلت الجيوش العربية وهم لا يعلمون شيئاً عن تحصينات مستعمرات العدو فلقد هونت هذه المخابرات من شأن التحصينات اليهودية وقللت من

---

(١) السابق جـ ٢ ص ١٤٥.

(٢) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين جـ ١ ص ٦٤ ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩م.

(٣) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ـ ص ١٧٠ ـ مكتب الهيئة العربية العليا بالقاهرة ـ طبعة ١٩٥٤م.

أهميتها حتى لقد قدرت إحداها مدة أقصاها /٧٢/ اثنين وسبعين ساعة ليفرغ جيشها من احتلال فلسطين كلها. . وحتى سمعنا أحد المسؤولين العسكريين في جيش عربي كبير يقول للوحدات العسكرية الزاحفة أنها ذاهبة في «نزهة عسكرية» إلى تل أبيب لا أكثر. .»[١].

وقال مسؤول كبير «لمراسلي الصحافة وهو يهم بإصدار الأوامر لجيشه ببدء الزحف إن دخول الجيوش العربية كلها لم يكن في الواقع إلا لتقصير أمد الحرب وإنهائها بسرعة ولما سأله الصحفيون عن مدى قدرة اليهود العسكرية قال لهم: إن فرقة واحدة من جيشه كفيلة بالقضاء على العصابات اليهودية وإلقائها في قاع البحر في مدة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً. .»[٢].

ولقد ساهم الإعلام العربي في نقل هذه التصريحات وتضخيمها مما زاد من استعداد اليهود لمواجهة الجيوش العربية وطلبهم المزيد من الإمدادات الغربية من جهة وزاد من اطمئنان العرب وثقتهم بجيوشهم وكثرتهم من جهة أخرى. . فركنوا إلى هذه التصريحات وكانت الهزيمة. .

## مسؤوليات الجيوش العربية:

وقد قسمت الجيوش العربية الزاحفة على جبهات القتال وأنيط بكل جيش مسؤولية الدخول من الجبهة المحددة له وتحريرها وقد كانت الجبهات كما يلي:

١ ــ المنطقة الشمالية المحاذية للبنان وسورية في مسؤولية الجيش السوري واللبناني وجيش الإنقاذ وهي تشمل كل ما يقع بين رأس الناقورة وطبريا حتى حدود المنطقة العراقية. .

---

(١) كامل اسماعيل الشريف ـ الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م ـ ص ٨٨ ـ الطبعة الثانية ١٩٥١م.

(٢) السابق ص ٨٨.

٢ ــ المنطقة الوسطى وتبدأ من حدود الجيش السوري في طبريا وسمخ إلى منطقة الخليل جنوباً وهي في مسؤولية الجيش العراقي والأردني..

٣ ــ المنطقة الجنوبية وتمتد من منطقة الخليل حتى الساحل غرباً وهي في مسؤولية الجيش المصري والسعودي.

٤ ــ تلتقي جيوش سورية ولبنان والعراق في حيفا ويلتقي جيشا مصر والأردن في تل أبيب..[١] وأذاع قائد القوات العام الملك عبد الله بياناً جاء فيه: «إننا عقدنا الخناصر على أن نخوض المعركة حتى نهايتها فإما أن نعيش شرفاء كراماً وإما أن تفنى الأمة العربية عن آخرها»[٢] ولقد كان موقف بريطانيا في بدء الزحف «موقف المتفرج بل والمشجع وقد أثنى المتحدثون بلسانها على البيان الذي أذاعته الحكومات العربية تمهيداً للزحف ووصفوه بالحكيم..» وبعد. أن شجعت بريطانيا على الزحف العربي كما قدمنا وكما أخبر به النقراشي.. عادت لتتلاعب من جديد «ففي ١٨ مايو ـ أيار ـ أذاعت دوائر وزارة الخارجية البريطانية أن وجهة النظر البريطانية قائمة على أنه ليست في فلسطين حكومة فلا يمكن أن يوصف زحف الجيوش العربية بأنه عمل عدواني أما إذا دخلت هذه الجيوش المناطق المخصصة لليهود بموجب قرار هيئة الأمم فإن مجلس الأمن قد يبحث هذا الأمر جدياً..»[٣]. ثم صعدت تصريحاتها إلى التهديد حيث قالت في /٣١/ أيار ـ مايو ـ : «إن بريطانيا ستكف عن إرسال الأسلحة إلى الدول العربية المرتبطة معها بمعاهدات وهي شرق الأردن والعراق ومصر تمشياً مع قرار مجلس الأمن الذي هو اقتراح بريطاني..»[٤] وكانت لجنة الهدنة قد زارت

---

(١) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ٨١ ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٥٩م.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ١٥٥ ـ المطبعة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

(٣) السابق جـ ٢ ص ١٥٦.

(٤) السابق جـ ٢ ص ١٥٦.

الملك عبد الله بعد أربعة أيام من الزحف العربي للتباحث في وقف القتال فقالت: «إن من المحال منع العرب من احتلال سائر المنطقة العربية وإن منعهم من الهجوم على المنطقة اليهودية منوط بتدابير سياسية قوية أو ضعف عسكري..»[1] وهكذا ألمحت اللجنة بصراحة إلى وجوب تدخل الدول الكبرى لعمل شيء ما ضد العرب وعلى أثر ذلك «تقرر في ٢٢ ـ مايو ـ أيار قبول اقتراح بريطاني بتوجيه نداء بوقف القتال في مدة ست وثلاثين ساعة من منتصف ليلة الثاني والعشرين إلى الثالث والعشرين.. فأرسلت الحكومات العربية رافضة وقف القتال لأنه ليس في فلسطين حرب رسمية بين دولتين ولأن العرب إنما يقاتلون عصابات باغية فتكت بالأمنين وشردتهم ولأن وقف قتالهم خطر على سلامة الجيوش وفسح للغدر اليهودي وإضرار بمركز فلسطين كوحدة سياسية وبمركز العرب الذين صرحوا مراراً بأنهم لا يرون حلاً عادلاً لقضية فلسطين إلا بقيام دولة فلسطينية موحدة...».

ثم رد الأمين العام للجامعة العربية بأن العرب حريصون على أن يستقر السلم في فلسطين. على إن هناك طائفة من الأسئلة المهمة لا بد من توجيهها:

أولاً: هل يمنع وقف القتال تدفق المهاجرين اليهود في فلسطين؟

ثانياً: هل يمنع تصدير الأسلحة إليهم..؟

ثالثاً: هل يجعل الإرهابيين يكفون عن أعمال العنف ويضمن للعرب سلامتهم؟ ثم قال: «إن اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية على استعداد لدراسة أي اقتراح يقدمه المجلس في غضون ثمان وأربعين ساعة لحل مشكلة فلسطين»[2].

«واستمر مجلس الأمن يبحث الموضوع وقدم المندوبون الروس والأمريكان

---

(١) السابق جـ ٢ ص ١٥٥.

(٢) أكرم زعيتر ـ القضية الفلسطينية ـ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ دار المعارف بمصر ١٩٥٥م.

والبريطانيون مشاريع قرارات وكان مما تضمنه المشروع البريطاني دعوة الطرفين إلى وقف القتال لمدة أربعة أسابيع والتعهد بعدم إرسال محاربين ومواد حربية إلى فلسطين أثناء هذه المدة.. وتطبيق مادتي العقوبات العسكرية والاقتصادية على من يخالف الأمر وقد قبل المشروع البريطاني في ٣٠ مايو ـ أيار ـ»[١] وجاء في رد الدول العربية على اقتراح مجلس الأمن في ٢ يونيو ـ حزيران ـ ١٩٤٨ بقبول الهدنة ما يلي:

«تاسعاً: وأن في تلبية الدول العربية لهذه الدعوة مع إخفاق جميع المحاولات التي بذلت حتى الآن لحل قضية فلسطين حلاً عادلاً بسبب تعنت الصهيونيين لأكبر دليل على صادق رغبتها في التعاون مع الأمم المتحدة للوصول إلى هذا الحل بالرغم من تمكن جيوشها من ناحية الأمر»[٢]، وعمل الوسيط الدولي برنادوت بجد ودأب وبذل مساعيه لدى العرب واليهود على توقيت الهدنة «فوجه في ٧ يونيو ـ حزيران ـ مذكرة احتوت شروطه وتفسيراته وعينت الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة الموافق لتاريخ ١١ يونيو ـ حزيران موعداً لوقف إطلاق النار لمدة أربعة أسابيع تحت إشرافه وإشراف المراقبين الذين يعينهم وعلى أساس أن وقف إطلاق النار لا يؤثر في مركز العرب واليهود وحقوقهم ومطالبهم ولا يترتب عليه أي امتياز عسكري لأحد الفريقين وأن كل فريق يحتفظ بمركزه العسكري الذي هو عليه حين وقف إطلاق النار..

فأجابه رئيس الوزارة المصرية باسم الحكومات العربية بمذكرة جوابية بالموافقة..»[٣] هذا «وكانت نتائج الحرب في الأسبوعين الأولين للقتال ناجحة ومشجعة حيث تمكنت الجيوش العربية من السيطرة على المنطقة العربية كلها تقريباً.. وتوقف الزحف العربي تقريباً بعد ذلك وتراجعت القوات العراقية قرب

---

(١) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص: ١٥٦ ـ المطبعة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

(٢) السابق جـ ٢ ملحق رقم ٨ ص ٣٧.

(٣) السابق جـ ٢ ص ١٦٠.

مستعمرة ناتانيا. . والسورية في سمخ ثم وقف القتال يوم /١١/ يونيو ـ حزيران ـ وأخذت بوادر الخلاف تبدو في تنفيذ الخطة وكان الخلاف من تغيير الخطة من قبل الملك عبد الله الذي أثر عليه ضباطه الانكليز»[١].

وأما عن الخلاف الذي حدث وعن تغيير الخطة فيقول المفتي متهماً الجنرال جلوب ما يلي: «وبدّل الخطة التي وضعها رؤ ساء أركان حرب الجيوش العربية ـ في معسكر الزرقاء ـ بالإجماع في أوائل مايو ـ أيار ـ ١٩٤٨ م وسحب الجيش السوري المرابط على حدود المنطقة الشمالية من فلسطين بطريقة مكشوفة إلى جبهة سمخ حيث عرضه لخسائر فادحة كما غرر بالجيش العراقي ووجهه إلى مهاجمة مستعمرة «جيشر» التي كانت قاعدة من قواعد خط أيدن الحصين الذي أنشأه الانكليز خلال الحرب لمقاومة الزحف الألماني وعاق الجيش الأردني الذي كان معسكراً حول القدس عن الدفاع عنها بضعة أيام لإعطاء الفرصة لليهود لاحتلالها، وقد منع جلوب الجيوش العربية من القتال الفعلي كما سحب الجيش الأردني من الرملة واللد بعد أن نزع أسلحة المجاهدين الفلسطينيين مما أدى إلى سقوط منطقتي اللد والرملة. .»[٢].

## حقائق تظهر الخيانة في قيادة جلوب الإنكليزي:

ثم يورد الباحث أسماء الضباط العاملين في الجيش الأردني وعددهم البالغ خمسين ضابطاً ويبين أن خمسة منهم فقط من الأردنيين العرب والباقي من الإنجليز أي أن نسبة الضباط العرب الى الضباط الإنجليز هي واحد الى عشرة. . وأن أعلى رتبة بين الضباط العرب لا تتجاوز رتبة مقدم. . كما يروي بمرارة محاولة «نيومان» الإنجليزي وهو قائد الكتيبة الثالثة الذي حاول عن سابق عمد وإصرار تدمير كتيبته بأن دفع بها الى مهاجمة القدس دون أن يتبع أي أسلوب علمي في القتال وغرر بها وعرضها لنيران اليهود فارتدت خاسرة خائبة

(١) السابق جـ ٢ ص ١٥٥.

(٢) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ـ ص ١٧٥ ـ مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ القاهرة ـ ١٩٥٤م.

وقد كشف عبد الله التل مؤامرته وأبلغ عنها الملك عبد الله عندما سأل عن سبب الهزيمة ـ ظناً منه أنه يسأل بلهفة وإخلاص ـ فأجابه عبد الله التل : «سيدي قائد الكتيبة الإنجليزي واسمه نيومان والخطة التي عملها تؤدي الى هلاك الكتيبة . . قال الملك: «ياريتك»[1] ما حكيت كذا . . بالله عليك لا تحك أسراراً بالتليفون . . قال له التل: أمرك مولاي . . ويعقب التل فيقول: فأدركت أن جلالته لا يريد أن يسمع كلمة واحدة ضد الإنجليز»[1].

وأما حديثنا عن تآمرجلوب: باشا فإن الحديث عنه يطول، ولكن لا بد من أن نناقش له بعض المواقف المتآمرة على القضية الفلسطينية ونبين خداعه في تبريرها خصوصاً التي يعارض بها إجماع المؤرخين العرب فقد برع في تغيير الحقائق واتكأ على واقع العرب المرير فاستغله في التشهير ليثير به الإنتباه ويبعد عنه أصبع الإتهام، وكان بعد كل ذلك يدعي أنه جندي العرب وأنه بذل جل عمره في خدمتهم وهو يحبهم ويتمنى لو تتحرر فلسطين من اليهود كما يزعم أنه عندما كان يسافر الى بريطانيا تؤمن له الحراسة خوفاً عليه من أن يغتاله اليهود لأنه وقف ضدهم وأرهقهم بالحرب . .

ففي مجال تغيير الحقائق قال جلوب: «لقد طلب مني الباشا ـ أي عبد الرحمن عزام ـ أن أكون قائداً عاماً لجميع الجيوش العربية. وعندما بدأت الحرب منحت الحكومة المصرية جلالة الملك عبد الله لقب القائد الأعلى للجيوش العربية»[2] بينما يروي مؤرخ عربي خلاف هذا فيقول «وحيث كان الكلام يجري في إسناد القيادة العليا للجيوش العربية للملك عبد الله بالذات وقد تم هذا بناء على إصرار الملك . . »[3].

---

(١) السابق جـ ١ ص ١٥٢.

(٢) مذكرات جلوب باشا ـ جندي مع العرب ص ٤٥ ـ ترجمة عفيف حسن الصمدي ـ دار النشر للجامعيين.

(٣) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٢ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

ويقول جلوب «في هذه الحرب لم نكن نعرف مدى استعدادات الجيوش العربية ولم يكن بين هذه القوات خطة مرسومة موحدة بينما ادعى الإسرائيليون بأنهم على اطلاع وافر على الخطة العربية المرسومة ولكن الواقع أن القوات العربية لم يكن لها أية خطة حتى أن المشرفين على هذه القوات لم يفكروا بوضع خطة ما»[1].

بينما أجمع المؤرخون العرب على وجود خطة عسكرية وقد ذكرنا من قبل توزيع الجيوش على الجبهات ومهمة كل جيش وهذا العمل كان وفق خطة عسكرية.. أما أن نقول بأن الخطة كانت غير محكمة أو ضعيفة.. الخ فهذا قول آخر ممكن أن يكون مجالاً للنقاش.. وعندما استؤنف القتال بعد الهدنة الأولى وحوصرت القوات المصرية في الفالوجة وقف جلوب أمام القيام بأي عمل لفك الحصار عنها ويقول المفتي عن ذلك «ومنع جلوب من تنفيذ خطة لإنقاذ الجيش المصري المحاصر في الفالوجة والخطة تقضي بعد أن وصفها رؤساء أركان الجيوش العربية لإرسال لواء عراقي بكامل معداته من منطقة نابلس الى منطقة الخليل وفوجين سوريين مجهزين تجهيزاً كاملاً الى منطقة الخليل أيضاً للتعاون مع اللواء العراقي للقيام بهجوم على الفالوجة عن طريق بيت‌حبرين..»،ووافق الملك عبد الله على الخطة وكذلك رئيس وزرائه لكن جلوب لما علم بها اعترض عليها وقال: إن هذا مستحيل فإن الجيش الأردني لن يسمح للقوات السورية ولا العراقية باجتياز أراضي شرق الأردن ولا المناطق التي يحتلها في فلسطين وزاد على ذلك قوله:

إذا نفذنا هذه الخطة فإننا نخشى أن يقصف اليهود مدينة عمان بقنابل الطائرات[2] أما جلوب فيقول: «وقد قرر مجلس الجامعة تأمين وحدات من

---

(١) مذكرات جلوب باشا ـ جندي مع العرب ـ ص ٥٢ ـ ترجمة عفيف حسن الصمدي ـ دار النشر للجامعيين.

(٢) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ص ١٧٧ ـ مكتب الهيئة العليا ـ القاهرة ـ ١٩٥٤.

الجيوش العراقية والسورية والأردنية لإنقاذها ـ قوات مصر المحاصرة في الفالوجة ـ إن قراراً كهذا لا يصدر إلا عن رجال السياسة فثلاث كتائب مختلفة من ثلاث جيوش مختلفة دون قيادة موحدة لها تجعلها تأتمر بأمرة رجل واحد ترى هل باستطاعتها في منطقة جبلية محصنة وتحت جنح الظلام أن تخلص هذه الحامية الكبيرة المحاصرة في الفالوجا . . كنت ما أزال عند رأيي الأول بأن تقوم قوات الجيش العراقي باحتلال اللطرون وتنسحب له قواتنا من هناك ونحن بدورنا نقوم بفك هذا الحصار ـ عن قوات الفالوجا العربية، لقد أصر العراقيون على موقفهم لاعتبار أن أوضاعهم في الجبهة لا تمكنهم من احتلال اللطرون»[1] ومن الجدير بالذكر أن جلوب قد أضاع اللد والرملة بحجة حماية اللطرون لأنه سحب الجيش منهما وحشده في اللطرون ولما تم احتلالهما من قبل اليهود أراد أن يعطيهم اللطرون فعرض أن ينسحب منها لينجد القوات المصرية وربما هيأ مع اليهود فرصة لاحتلال اللطرون أثناء الإنسحاب وقبل أن يدخلها الجيش العراقي وهنا كان سيلصق التهمة بتسليمها لليهود بالجيش العراق. . وقد انتقد خطة العرب وخطته أفشل فكيف يخلي منطقة يطلبها اليهود بكل ثقلهم. .؟ فالأجدى أن تذهب جيوش من الإحتياط لإمداد الجيش المصري. . ويتعلل بأسباب واهية حول قيادة هذه الجيوش الثلاثة فما المانع من أن يضع عليها قائداً يدير شؤونها. .؟ وهل من الخير أن تترك القوات المحاصرة في الفالوجة لتواجه المصير الأسود أم الأفضل أن ننجدها بقوات مهما كانت نوعيتها فإنها لا شك ستؤثر وتقدم معونة ملموسة. . لقد فضل جلوب أن يترك القوات المحاصرة وهو يتمنى أن تستسلم بين يوم وآخر. . لماذا. .؟ ليقول الملك عبد الله في نهاية الهزيمة «أما المصريون فقد تعفرت أنوفهم وأما أهل الشمال فلا حول لهم ولا قوة. . ويقصد بأهل الشمال سورية ولبنان. . ثم يذكر سلامة الجيشين الهاشميين»[2] ثم يستهزىء جلوب بالسياسيين العرب ليحول عنه التهمة وليظهر

(١) مذكرات جلوب باشا ـ جندي مع العرب ـ ص ١١٣ ـ ترجمة عفيف الصمدي ـ دار النشر للجامعيين.

(٢) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ٤٣٢ ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩م.

بمظهر القائد الذي أدى واجبه بوضع خطة لإنقاذ قوات الفالوجة ولكنه للأسف لم يطع.. فيقول: «عقد ممثلو الدول العربية اجتماعاً في عمان لدرس إمكانية مساعدة القوات المصرية وكان دولة النقراشي باشا يتهم الدول العربية بأبشع الإتهامات لأنها لم تبادر الى مساعدة القوات المصرية وكان رئيس وزراء سورية السيد جميل مردم يؤيد النقراشي باشا في موقفه وقد أجمعت كلمة المجتمعين على أن يقدموا المساعدات المفروضة في حال وقوع حادث من هذا النوع.. وعندئذ نهض الرئيس السوري نحو مخطط لفلسطين كان على الحائط وأشار بيده قائلاً: إنه في حال وقوع حادث مماثل للجيش المصري فإن القوات السورية ترى نفسها مجبرة أن تزحف لاحتلال جميع المنطقة الإسرائيلية الساحلية حتى تصل الى الخليل على البحر الأبيض ثم تقوم باحتلال صفد والناصرة وتمنى على الجيش العراقي أن يحتل منطقة العفولة.. وكان من بين الحاضرين اللواء صلاح رئيس أركان الجيش العراقي، فنظر مبتسماً وقال: إذا تمكنت القوات السورية من القيام بهذا العمل فنحن على استعداد لمساعدتكم..»[1] صحيح أن السياسيين العرب الذين تسلموا إدارة دفة الحكم كانوا أغراراً من مثل هذا الجهل المطبق في التدخل بما لا يخصهم أولاً وفي تسليم أزمة أمورهم لجلوب باشا وأمثاله ثانياً.. وإلا لما كانت الهزيمة المنكرة في عهدهم.. ولكن هذا لا يبرىء ساحة جلوب من تهمة خيانته للعرب.. ولما حلت الهزيمة بالعرب وانسحبت الجيوش العربية الى بلدانها كان من الطبيعي أن يكون هناك عبور بين الأراضي المحتلة وبين الضفة الغربية لسكان فلسطين فبعضهم فضل الهرب والآخر فضل العودة.. وكان من الطبيعي أيضاً أن تحصل على الحدود حوادث فردية بين الحين والآخر.. ولكن جلوب انزعج من هذا العمل واعتبره من عمليات التسلل المخالفة للقانون فماذا فعل إزاء هذا يا ترى يقول: «ونحن على يقين بأن عمليات التسلل تعتبر من العمليات البوليسية وليست من الأعمال الحربية ونتيجة لذلك اقترحنا أن تتعاون قواتنا وقوات اليهود البوليسية لتشكيل دوريات على طول الحدود لوضع حد لهذه

(١) مذكرات جلوب باشا ـ جندي مع العرب ـ ص ١٠٦ ـ ترجمة عفيف حسن الصمدي ـ دار النشر للجامعيين.

القضية وكنت أسمي هذه الإقتراحات باتفاقية القواد المركزيين. .»[1].

## نهاية الحرب المأساوية:

ذكرنا من قبل أن الجيوش العربية قد أحرزت انتصارات باهرة في الأسبوعين الأولين من القتال وقد أخافت هذه الحرب اليهود حتى وصل بهم الأمر الى حد اليأس فاستسلم عدد منهم في قطاعات مختلفة وأصبحت هزيمتهم أمراً متوقعاً بين حين وآخر «ففي تل أبيب لم يكن اليهود أحسن حالاً فقد قامت فيها المظاهرات مطالبة بالكف عن القتال والتسليم حتى اضطر بن غوريون رئيس وزرائهم أن يخطب في المتظاهرين تسكيناً لروعهم وتهدئة لجزعهم وكان مما قاله لهم «إن لدي وعداً قاطعاً من الإنجليز والأمريكيين بأن الهدنة ستعقد خلال ثلاثة أيام فإن لم يتم ذلك فتعالوا فاشنقوني هنا»[2]. وهكذا حرك الإنجليز وكذلك الأمريكان عملاءهم فشقوا الصف العربي وأوجدوا الخلافات التي مزقت وحدتهم حتى اختلفوا فيما بينهم على أتفه الأمور وأبسطها. . فتحول نصرهم الى هزيمة وتراجعت قواتهم في كل ميدان ثم اختلفوا على قبول الهدنة الأولى فوقعوها ما بين راض وموتور وبين متحمس ومتشائم. . ثم انطلقت عصابات اليهود خلال الهدنة فاحتلت وقتلت وزرعت الرعب في قلوب العرب حتى هجر قسم كبير منهم بيوتهم أمام سمع وبصر الجيوش العربية وهي ساكنة لا تتحرك. . لئلا تخالف قوانين الأمم المتحدة. . ثم أمضى اليهود فترة الهدنة في جلب السلاح والمقاتلين وأمضى العرب الهدنة في تأجيج جذوة الخلافات من جديد. . ولما انتهت فترة الهدنة الأولى استأنفوا القتال من جديد وهم أشد فرقة من ذي قبل. . ».

فأصبح كل قائد جيش يسر عندما يسمع بمصاب حل بجيش شقيقة. .

---

(١) السابق ص ١٦١.

(٢) محمد أمين الحسيني ـ حقائق عن قضية فلسطين ص ١٨٠ ـ مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين بالقاهرة ـ ١٩٥٤م.

يقول أحد الباحثين «واستؤنف القتال في /٩/ يوليو ـ تموز ـ في كل الجبهات بحماس وحيوية، وقد بدا اليهود في هذه الجولة أوفر عدداً وسلاحاً مما كانوا عليه في الجولة السابقة وخاصة الطائرات والمدافع والقيادة والمقاتلين والمدربين وكانوا في جبهات عديدة وخاصة في المناطق الشمالية والوسطى مهاجمين أكثر منهم مدافعين.. على أن الحالة في الأيام الأربعة الأولى كانت حسنة بالنسبة للعرب حيث استطاعوا أن يزيحوا اليهود عن نقاط كثيرة استولوا عليها أثناء الهدنة وعاد السلاح الجوي المصري الى غاراته المدمرة على تل أبيب وغيرها ـ ثم ما لبثت أن أخذت تتبدل وأن أخذ اليهود يشتدون في الضغط والنشاط في مختلف الجبهات.. ثم كان انسحاب القوة الأردنية من حول اللد والرملة وانسحاب القوة العراقية من رأس العين ومجدل بني فاضل وبعض مناطق مرج ابن عامر وفصائل جيش الإنقاذ بعد ذلك من أنحاء الجليل الغربي الشمالية والوسطى فانقلب الميزان رأساً على عقب»[1].

ويلخص أحد الباحثين أدلة التآمر التي تدين الملك عبد الله فيقول:

«١ ـ إتصاله السري مع اليهود بواسطة طبيبه الخاص شوكت باشا.

٢ ـ إتفاقه السري مع اليهود على الهدنة الدائمة.

٣ ـ منعه الجيش العراقي من تقديم أية مساعدة للتخفيف عن الجيش المصري وكان بإمكانه ذلك.

٤ ـ ابتهاجه لتطور معركة الجنوب لصالح اليهود.

٥ ـ أحاديثه وتصريحاته حول النقب ومعركة الجنوب تلك التصريحات التي أثبتت معرفته بالهجوم قبل وقوعه..

---

(١) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٥ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

٦ ـ وأخيراً سروره العظيم للتغيير الذي طرأ في العراق وتسلم نوري السعيد دفة الحكم»[١].

وأمام هذه الحالة وجدت الجيوش العربية نفسها في مأزق خطر فقد انفرد اليهود بكل جيش على حدة ولم يعد هناك ترابط أو مساندة بين الجيوش العربية مما أطمع اليهود بهم فسحقوهم الواحد بعد الآخر مما أدى الى استسلامهم وعقد محادثات هدنة دائمة فيما بينهم وبين العدو اليهودي.. فقد «أعلن في مقر الأمم في ليك سكس في ٨ يناير كانون الثاني عام ١٩٤٩م أن الحكومة المصرية والسلطات اليهودية اتفقتا على وقف إطلاق النار اعتباراً من الساعة الثانية من بعد ظهر الجمعة المصادف لليوم المذكور وقبلتا الدخول في مباحثات مباشرة بإشراف هيئة الأمم لعقد هدنة دائمة وأن المحادثات ستبدأ في رودس في /١١/ يناير ـ كانون الثاني ـ على يد الوسيط د. بانش.. والسبب في ـ هذا الموقف المصري المنفرد ـ عدم فك الحصار عن جيش مصر من قبل العراق والأردن مما أدى الى قبول المحادثات منفردة.. ثم استجاب الأردن ولبنان أما السعودية فقد اعتذرت عن الدخول في المفاوضات قائلة: إن قواتها ليست جبهة مستقلة بنفسها وإنها ستقبل بالقرارات التي تقرها دول الجامعة العربية مجتمعة فيما يتعلق بفلسطين.. كما أن العراق لم يشترك في المفاوضات.. وفي مارس ـ آذار ـ ١٩٤٩م دخلت سورية في المفاوضات..»[٢].

---

(١) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ جـ ١ ص ٤٣٢ ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٥٩.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ـ ص: ٢٣٤ ـ ٢٤١ بتصرف المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٦٠م.

# محادثات رودس وتوقيع الهدنة الدائمة

لقد قبلت إسرائيل قرار مجلس الأمن في ١٥ تموز - يوليو - ١٩٤٨، وهي تنوي في أعماقها المكر والخديعة، لكنها من باب السياسة الماكرة لم تشأ أن تظهر أمام الرأي العام العالمي بمظهر الدولة المتمردة على قرارات الأمم المتحدة، بل أرادت أن تطبع في أذهان الدول أنها دولة وديعة مسالمة ترضخ بسرعة لما تقررة الهيئة الدولية وبذلك تكسب ثقة الجميع حتى إذا ما أقبلت على عمل إجرامي كبير كان وقع الإستنكار العالمي خافتاً وكان رجع الصدى هامساً ومعاتباً لا مقرعاً. . إن الصهيونية عندما تلجأ الى هذا الأسلوب الماكر تصبح الرابحة دوماً حتى وإن كان المكسب شبراً من الأرض . . لكن الخسارة دوماً على أهل فلسطين. . لقد وجدت الصهيونية أمامها اختلاف العرب وضعفهم وتهديدهم وصياحهم أكثر من عملهم وهذه فرصة سانحة لكي تحقق المكاسب تلو الأخرى وتتوسع على حساب اختلاف العرب في فلسطين التي أصبحت لا حارس ولا حامي فيها من سطوة اليهود. . «ففي ١٥ تشرين الأول أكتوبر - ١٩٤٨ خرق الإسرائيليون الهدنة وقاموا بهجوم في الجنوب على الجبهة المصرية فاحتلوا بئر السبع في ٢١ من نفس الشهر وبيت حنون في ٢٢ وبعد ذلك بيت جبرين. . تدخلت الأمم المتحدة وحملت الطرفين على قبول ايقاف النار في ٢٢ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٨ قبلت إسرائيل ذلك لتقوم بهجوم جديد إنها تقبل إيقاف النار أو الهدنة لتعد لاعتداء آخر ففي ٣١ من الشهر المذكورتحدت إنذار رئيس قوات الطوارىء للأمم المتحدة وهاجمت الحدود اللبنانية واحتلت خمس عشرة قرية داخل الأراضي اللبنانية ولم يكتف الصهيونيون بذلك بل قاموا خلال شهر تشرين الثاني ١٩٤٨م بالتوغل في النقب تجاه خليج العقبة وفي ٢٢ كانون الأول - نوفمبر - ١٩٤٨م قاموا باعتداء جديد واحتلوا العوجا ودخلوا أراضي سيناء. . ولم يطلب منها مجلس الأمن الرجوع الى الحدود التي حددها لها. . . إذن ما دام الإعتداء يربح ومجلس الأمن لا يحاسب فلماذا لا تستمر إسرائيل في

الاعتداء..؟»[1] ومع كل ما حدث فقد فوجيء العالم بقرار اتخذته مصر وهو إجراء مفاوضات مع اليهود لعقد هدنة دائمة «وأن المحادثات ستبدأ في رودس في ١١ كانون الثاني ـ يناير ـ على يد الوسيط الدكتور بنش»[2]. وكانت ميول الدكتور بنش الى جانب اليهود حيث لعب دوراً كبيراً في توريط الوفد المصري بتنازلات متتالية فقد «بدأت المفاوضات يوم ١٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٩م في إحدى قاعات الفندق ـ دي روزز ـ عندما اجتمع الوفدان المصري واليهودي برئاسة نائب الوسيط الدولي وذكر بأن هذه المفاوضات تهدف الى عقد هدنة عسكرية طبقاً لقرارات مجلس الأمن تمهيداً لإحداث الجو الملائم لعودة السلم الى فلسطين.. وبعد أن انتهى الاجتماع التمهيدي عارض وفد مصر محاولات الدكتور بنش ثم جمعهم مع اليهود على مائدة واحدة.. وأوضح بنش أننا أتينا جميعا للتفاوض وهذا يعني الإلتقاء لبحث أشياء.. ويقول والتر إيتان أحد أعضاء الوفد اليهود: فقد إلتقينا في اليوم التالي في غرفة جلوس الدكتور بنش حيث كان يجلس على مقعد مستطيل يرأس الإجتماع ومندوبو مصر وإسرائيل يحيطون به على كراسي عن يمينه وعن يساره.. ولقد أصر المصريون بادىء الأمر على توجيه كل ملاحظاتهم الى دكتور بنش كأننا لم نكن في الغرفة إلا أنه كان من المستحيل الإستمرار على وضع اصطناعي من هذا النوع لذلك تحسن الجو حالاً ولم يمض وقت طويل إلا وأصبح المندوبون يتجادلون أما بالإنجليزية أو الفرنسية ولقد أصبحنا أصدقاء مع المفاوضين المصريين حتى إذا مرض عبد المنعم مصطفى رئيس المستشارين السياسيين للوفد المصري جلسنا على جوانب فراشه وواسيناه»[3].

ومع هذا الكلام المعسول من قبل اليهود وتوقهم الشديد للمفاوضات

---

(١) د. يوسف هيكل ـ فلسطين قبل وبعد ـ جـ ١ ص ١٤٤ ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧١م.

(٢) محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ جـ ٢ ص ٢٣٤ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٦٠م.

(٣) سامي حكيم ـ طريق النكبة ـ ص: ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ طبعة أولى ١٩٦٩.

المباشرة هل أفاد ذلك العرب في شيء . . أبداً . . إن اليهود يجيدون المكر والخداع فهم يسعون الى المفاوضات لنيل الإعتراف الضمني بوجودهم كطرف له حقوق في فلسطين أمام الرأي العام . . لكن هل تنازلوا عن مقدار ذرة مما خططوا له . . أبداً لقد تمسك اليهود بكل الأراضي التي اغتصبوها على أنها محررة . لقد كان جديراً بوفد مصر ألا يقبل الإستمرار في المفاوضات إلا في إطار ما نصت عليه قرارات مجلس الأمن . . لكن بنش أقنع الوفد المصري بقوله:

«بأنه يجب عدم الإسراف كثيراً في التمسك بالإعتبارات القانونية بل الخير في أن يكون وفد مصر عمليين واقعيين . . وأنه يصعب كثيراً على قائد عسكري أن يجلو عن أماكن نالها بحد السيف لمجرد أن اعتبارات العدالة تتطلب هذا الجلاء»[1].

لكن التنازلات كانت من طرف واحد وهو الطرف المصري الذي كان يقدم التنازلات المتتالية من حساب فلسطين.

ومن الكلام المضلل الخادع أن تغير الحقائق في البيانات الرسمية فقد أذاع رئيس حكومة مصر بياناً عن محادثات رودس جاء فيه «وبعد بحث المشروع في مختلف نواحيه وافق عليه الفريقان وتم التوقيع على المشروع النهائي وهذا الإتفاق ليست له صبغة سياسية بل تناول المسائل العسكرية البحتة ولم يتعرض عن قرب أو عن بعد لمستقبل فلسطين السياسي . .[2].

وفي مؤتمر صحفي وصف شرتوك هذا الإتفاق بأنه أكبر حدث تاريخي في مستقبل اسرائيل».

أما ما تم في الجانب الأردني فهو أدهى وأمر، لقد تسابقت دول المواجهة الواحدة تلو الأخرى على تقديم التنازلات لاسرائيل من أجل وقف القتال، وما

(١) السابق ص ١٢٦.

(٢) السابق ص ١٣٥.

تكاد تستسلم جبهة حتى تعلن الاستسلام إثرها جبهة أخرى، لذلك ما إن أعلنت مصر على قبول المفاوضات حتى تبعها دول المواجهة، بعضها دخل مسرعاً والآخر تردد ثم دخل على استحياء..! واليهود بهذا التهافت فرحون مشمخرون، تكاد أنوفهم أن تصل الى عنان السماء بسبب ما شاهدوه من جبن وتخاذل غير متوقعين، لقد كان ثوار فلسطين بالأمس يذيقونهم الويلات واليوم تستسلم أمامهم الدول السبع.. وهنا قست شروطهم وتعاظمت طلباتهم.. لقد اختلف العرب فيما بينهم وكان لسان حال كل منهم يقول بيد اليهود لا بيد عمرو فارتمت مصر وتبعتها الأردن، إلا أن اليهود أبوا أن يفاوضوا الأردن الا على ما يملك من الجبهة وخطوط القتال، والأردن يطالب بضم خطوط قتال الجيش العراقي.. أما العراق فقد رفض التفاوض وأعلن عن انسحاب لقواته وشيك.. ولا ندري لماذا اتخذ العراق مثل هذا القرار في هذا الوقت الضبابي بالذات.

هل كان المقصد من ذلك صد اليهود وعدم الدخول معهم في مفاوضات مطلقاً..؟ أم إنه توقيت ذكي لإحداث بلبلة في الصف العربي تزيد من خسارته ونكبته..؟ فاليهود أصبحوا يطالبون بضم الأراضي التي سيتركها الجيش العراقي.. واعتبروه جيش احتلال أتى من الشرق.. والأردن فقد اتزانه واستعد لفعل أي شيء من أجل ضم هذه الأراضي له.. فالنقب وأم رشراش.. كلها لا تهم مقابل ضم ما تحت يد الجيش العراقي.. فهل نعتبر هذا التصرف من حسنات الجيش العراقي لأنه رفض التفاوض والجلوس مع اليهود أم إنها مؤامرة مدبرة..؟ من خلال رصد سجل الجيش العراقي في فلسطين نرى أنه لم يكسب معركة واحدة بل كان يترك المواقع الهامة التي يتوقع أن يكون لها أثر في إحراز النصر في أحلك الساعات.. وأوامر الإنسحاب الكثيرة التي كانت كثيراً ما تلجىء الضباط الغيورين الى التصرف بحمق كالإنتحار وغيره.. إذن هي مؤامرة مدبرة.. لكن هذا لا يعني أننا كنا نريده أن يدخل في مفاوضات رودس وكما قلنا في موضع من هذا الكتاب إن البدايات الخاطئة تؤدي الى نتائج خاطئة.. لقد أعطى عمل الجيش العراقي هذا مبرراً

للملك عبد الله كي يوغل في التقرب الى اليهود.. ويقدم التنازلات المهينة.. وقد برر له هذا الموقف قائده جلوب باشا عندما قال «إن الحالة بالنسبة للقوات الأردنية قد أصبحت سيئة فاليهود أخذوا باحتلال البلاد قسماً قسماً ووفدهم في رودس امتنع عن توقيع الهدنة، والجيش العراقي راح يسحب قواته شيئاً فشيئاً.. ولسوء الحظ إن جلالة الملك عبد الله أخذ يرى ضرورة مفاوضته اليهود ليضع حداً لهذه الحالة المتأزمة فأرسل لهم وفداً خاصاً لذلك وكان إقدامه على هذا العمل ناجماً عن موقف اليهود الجديد وكان عرض الملك يتلخص في حال موافقة اليهود على دخول الجيش الأردني الى المنطقة التي يحتلها الجيش العراقي فإن الحكومة الأردنية سوف تتنازل لليهود عن خط طوله مائة وثمانون كيلو متراً بعمق كيلو مترين وذلك على طول الجبهة العراقية الاسرائيلية ـ ثم يبرر هذه الخطيئة الكبرى لسيده فيقول: إن هذا الخط الذي سمح الملك عبد الله بإعطائه لليهود لم يكن في الواقع لصالح إسرائيل من الناحية الإقتصادية ـ لكنه عاد فنطق بالصدق عندما قال ـ فهو يمكنها من تحسين مواقعها ومن احتلال الهضبات المرتفعة والممتدة على طول الخط، هذه المرتفعات التي كانت تقوم عليها قرى عربية أنزلت بالقوات الإسرائيلية خلال عشرة شهور خسائر فادحة دون مساندة أية قوات عربية..».

.. وانتهت المفاوضات بتوقيع اتفاق في رودس يوم ٣ من ابريل ـ نيسان ١٩٤٩م.. سلب من العرب أخصب بقاعهم ومنح اليهود أرضاً احترق ترابها لوعة وتفجعاً ومست اللوعة قلوب الذين تسببوا فيها فأنطقتهم بعد سنين دامية واعترفوا بفداحة الخطب.. فقد قال توفيق أبو الهدى رئيس الحكومة الأردنية في بيان له بالبرلمان الأردني يوم ٢٠ من يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٣ «بأن اتفاقية رودس أدت الى كارثة لا يمكن نكرانها»[1].

أما الخسارة التي نتجت عن هذه الكارثة فهي:

---

(١) سامي الحكيم ـ طريق النكبة ـ ص: ١٤٠ ـ ١٤٧ ـ طبعة أولى ـ ١٩٦٩م.

١ ـ شملت تسليم اليهود أخصب أراضي المثلث العربي أو المثلث الذهبي إذ اقتنصوا إحدى وثلاثين قرية.

٢ ـ كما تسلم اليهود الطريق المعبد من طولكرم الى قليقلة وطوله ثمانية وعشرون كيلو متراً.

٣ ـ ومنح الإتفاق لليهود السيطرة الكاملة على الشقة الساحلية وعلى خط سكة الحديد بين حيفا واللد.. وفتح الإتفاق لليهود طريق العفولة الخضيرة والمرتفعات المحيطة به وهو الطريق المعروف بقيمته الحربية.

٤ ـ أباح الإتفاق لليهود الإستيلاء على مصانع البوتاس الواقعة من الطرف الجنوبي للبحر الميت مما يسر لليهود إعادة نشاطهم الصناعي..

٥ ـ أوجد الإتفاق مناطق حرام ومناطق دفاعية أصبحت فيما بعد تحت سيطرة الصهيونية..

ثم دخلت لبنان في مباحثات رودس فقد «وافق لبنان على دعوة بنش لعقد اتفاق للهدنة واتخذت هذه الموافقة مظهر المباحثات التمهيدية في بيروت.. وانتهى الرأي على أن يجتمع الوفدان اللبناني واليهودي يوم ٢٨ من فبراير ـ شباط ـ في مركز البوليس برأس الناقورة لإستئناف المباحثات التي بلغت حداً من الإتفاق ساعد عليه عدم وجود خلافات ذات بال بين وجهات النظر لا سيما بعد أن وافق الجانب اليهودي على مطلب لبنان بضرورة انسحاب القوات اليهودية من القرى التي احتلتها تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن في هذا الشأن.. وجلت القوات اليهودية عن الأراضي اللبنانية كما جلت القوات اللبنانية عن الأراضي الفلسطينية (مخفر رأس الناقورة) ابتداء من يوم التوقيع..»[1].

وكانت سورية متشددة ورافضة لأية مباحثات مع العدو إلا أن الأمر قد تغير بعد انقلاب حسني الزعيم في ١ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٤٩.. ففي يوم ٥ ابريل ـ نيسان ـ أي بعد خمسة أيام من الإنقلاب.. بدأت مباحثات الهدنة بين سورية

(١) السابق ص ١٥٦.

وإسرائيل في المنطقة الواقعة بين مشمار هايردن ـ وروشبينا . . وأعد الدكتور بنش مشروعاً لوقف إطلاق النار فتم التوقيع عليه يوم ١٣ من ابريل ـ نيسان ـ ١٩٤٩ م . . وتقرر بعد ذلك أن يعرض كل من الطرفين اقتراحاته الخاصة بخطوط الهدنة، فأصر الجانب اليهودي على سحب القوات السورية المسلحة من مستعمرة مشمار هايردن فخلقت هذه الحالة جواً من التوتر هدد المباحثات بالفشل وأذيع فعلاً يوم ١٤ من يونيو ـ حزيران ـ بيان يعلن قطع المفاوضات . .

واستؤنفت المفاوضات يوم ٤ من يوليو ١٩٤٩ م بعد أن لوحت أمريكا لحسني الزعيم بالإغراءات المادية لتوطين اللاجئين في منطقة الجزيرة لقاء ملايين الدولارات. وصدرت التعليمات للوفد السوري المفاوض بالموافقة على الحل الوسط الذي اقترحه نائب الوسيط الدولي والذي يقضي بإجلاء القوات السورية حوالي /٢٠/ عشرين ميلاً مربعاً عن أراضي إسرائيل على أن ينزع سلاح خمسة عشر ميلاً من هذه المنطقة لتصبح منطقة محايدة تحت إشراف لجنة الهدنة . . ووقع الجانبان اتفاق الهدنة التي عرفت باسم اتفاقية التل /٢٣٢/ . . في ٢٠ من يوليو ـ تموز ـ ١٩٤٩ م.

## لجنة التوفيق الدولية:

ما كنت أود ذكر ما جرى من مباحثات في لجنة التوفيق الدولية، لأن ما اتخذ فيها من قرارات لم يكن ذا بال لولا أن رأيت ما ينبغي أن ينشر للجماهير العربية المسلمة خصوصاً وإننا ندرس القضية من جانبها الإعلامي، فما دار من أحاديث بين وفود العرب وبين وفد اليهود بحيث ظهرت الضمائر وخبيئات النفوس على حقيقتها ينبغي ألا يفوت على القارىء المسلم ومع ذلك فلن أسهب في الشرح وإنما سأجتزىء الذي يعنينا في هذا الموضوع وأعلق عليه تعليقات سريعة خشية الإطالة . .

تألفت لجنة التوفيق الدولية استناداً إلى توصية صدرت عن الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة في الحادي عشر من ديسمبر ـ كانون الأول ـ ١٩٤٨ بأغلبية

/٣٥/ خمسة وثلاثين صوتاً مقابل خمسة عشر وامتناع ثمانية، وهذه التوصية دعت أيضاً إلى إعادة النازحين الراغبين في العودة إلى بيوتهم والتعويض على من لا يرغب منهم في العودة.. كان للجنة الصلاحيات التالية، التوسط، التوفيق والتنفيذ.عقدت اجتماعها الأول في جنيف وكانت مؤلفة من ثلاثة صحفيين (يلطيش التركي) و(اثريدج الأمريكي) و(بوسانجيه الفرنسي) وفي المرحلة الثانية من نيسان ـ ابريل ـ حتى تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٩ انتقلت اللجنة إلى لوزان في سويسرا وإلى هناك أرسلت الأطراف العربية سورية ولبنان وشرق الأردن ومصر وكذلك إسرائيل وفودها أي أن أعمال هذه اللجنة أعقبت معاهدات رودس مباشرة وفي هذه المرحلة أي خلال اجتماعات لوزان كتب رئيس الوفد اليهودي ـ الياهو ساسون ـ رسائله الخاصة إلى موشيه شاريت وزير خارجية إسرائيل ومن قراءة هذه الرسائل واتصالاته بأعضاء لجنة التوفيق الدولية ومحادثاته الخاصة مع بعض أعضاء الوفود العربية مما يدل على سهر اليهود على مصالحهم وتضييع من أوكلت إليهم أمورنا ومصالحنا.. كما تكمن أهمية هذه الرسائل في أن مضمونها يكشف عن أخطر المراحل التي مر بها النزاع العربي ـ اليهودي وتظهر خلفيات الأمور التي كانت تجري في ذلك الحين..

ففي الرسالة الأولى: «يتصل مستشار الملك ـ فاروق ـ بسيكوريل (رجل أعمال يهودي مصري) ويطلب منه أن يوصل رسالة إلى الياهو ساسون المقيم في أوروبا ويذكر أنه تناول أجراً سخياً على وساطته بين القصر والحكومة وبين الجالية اليهودية في مصر، مرة ثلاثين ألف جنيه ومرة أخرى أربعين ألف جنيه.. وقال سكوريل إذا كانت هذه رغبة الملك فإنه سيوصل الرسالة رغم زعمه بأنه لا يعرف ساسون.. قال المستشار: إن الرسالة قصيرة وتساعد على أمور:

أولاً: تحسين وضع يهود مصر. ثانياً: التمهيد للتفاهم بين إسرائيل ومصر ويرغب الملك في أن تنقل إلى ساسون قرار حكومته بأن تفعل كل ما تستطيع لتحسين وضع يهود مصر ومنحهم من جديد الحرية التي كانوا يتمتعون بها سابقاً والإفراج تدريجياً عن المعتقلين وأملاكهم..

مقابل ذلك يطلب الملك أن تتوقف الإذاعة والصحافة الإسرائيليتان عن مهاجمته ومهاجمة حكومته وشعبه.. وأن تستخدم إسرائيل كل قوتها ونفوذها لوقف الحملات على مصر في الصحافة الغربية وخصوصاً في الصحافة الأمريكية..»[1].

أما الرسالة الثانية فقد كشف فيها ساسون ما يلي:

«حدث بعد استئناف المحادثات في لوزان تبدل كبير نحو الأفضل في موقف الوفد المصري فهو يبدو إيجابياً أكثر، يتصل بي من حين إلى آخر عبد المنعم مصطفى رئيس الوفد (كان عضواً في وفد مصر إلى محادثات رودس) يسأل عن صحتي وصحة أصدقائي ويقترح أن نلتقي.. وهو يذكر دائماً عملنا الناجح والمشترك في رودس ويقترح تجديد تلك الأيام في لوزان.. ولدى اقتراح الوفد الإسرائيلي لحل شامل لقضية اللاجئين فاجأها عبد المنعم كلها فقد كان أول من بادر إلى الكلام فأعرب عن موافقته الشخصية على الإقتراح واضطر رؤساء بقية الوفود العربية الذين تحدثوا بعده إلى أن يحذوا حذوه، لكن فوزي الملقي رئيس الوفد الأردني توجه إليه لدى خروجهما من قاعة الإجتماعات قائلاً: لو فعلت هذا مكانك دون تشاور مسبق وموافقة شاملة وصريحة لاعتبرتموني جميعاً خائناً وعميلاً صهيونياً.. لم يجب عبد المنعم.. كما أن الملك فاروق اجتمع بعبد المنعم هذا لمدة عشرين دقيقة وقد اهتم الملك بمعرفته أمرين:

( أ ) لماذا يشكو منه أعضاء لجنة التوفيق الأمريكيون ويطلبون استبداله؟
(ب) لماذا يظهر ساسون تشاؤماً ويعتبر موقف الوفد المصري سبباً في فشل محادثات لوزان..؟

ولما استفسر عبد المنعم من الملك عن المعلومات ومن أين وردته.. أخذ الملك ورقة وناولها له وقال (خذ واقرأ) وإذا بالورقة رسالة من ساسون إلى الكولونيل اسماعيل شيرين (زوج الأميرة فوزية) وفيها يدعو اسماعيل شيرين

(١) عادل مالك ـ من رودس إلى جنيف ـ ص ٦٣ ـ دار النهار للنشر ـ ١٩٧٤م باختصار..

كي يحضر لأوروبا للتشاور معاً. . ثم يتكلم عبد المنعم بلغة العميل المتلهف لخدمة اليهود بأية طريقة فيقول لساسون: أعرف ثقة جماعتنا في مصر بك، رأيت ألا أعترض على أقوالك أو أن أشكو منك بل أن أجد ذريعة تمكنني من اصطياد عصفورين بحجر واحد. .

( أ ) التخلص من الورطة بسلام. .

(ب) الوفاء بوعد قطعته للسيد شاريت ولم أستطع الوفاء به حتى الآن ـ يقول عبد المنعم ـ: قلت للملك: كنت حريصاً قدر الإمكان منذ وصولي إلى لوزان على عدم رؤية ساسون وخلق انطباع لديه بأنه لا مبرر للقاء بي والسبب بسيط، فقد كنت أخجل من أن أنظر إلى وجهه ذلك أنه عندما كنا معاً في رودس وعدت عن طريقه السيد شاريت بأن أوصي حكومة مصر بأمرين:

١ ــ إطلاق سراح يعقوب وايزمن فوراً لسبب مرضه الشديد والخطر. . .

٢ ــ إطلاق سراح بقية المعتقلين اليهود تدريجياً، ولكنني لم أنجح في الوفاء بوعودي وهذا لا يليق بي. . (وبهذه الخدعة والتمثيلية) قال الملك: «لا تقلق سنفي بوعدك في أقرب وقت. . قل لليهود في لوزان: إن حكومتي تؤيد السلام والإستقرار في الشرق بأسره لكن ينبغي ألا يضغطوا علينا لتوقيع معاهدة سلام فذلك أمر لا يمكن تنفيذه خلال الأشهر القريبة بسبب الوضع الداخلي في مصر والعالم العربي بأسره» ثم يقول ساسون في الرسالة: «ويبدو أن عبد المنعم سمع عن رغبتنا في إجراء اتصال مع رئيس الجمهورية السورية حسني الزعيم فقد أكد عدة مرات خلال الحديث أن للملك فاروق تأثيراً على الزعيم وأن الزعيم نفسه رجل شجاع وجريء ولكنه أيضاً ـ أضاف ـ متقلب ويصعب الإعتماد عليه بشكل كامل ويصعب على عبد المنعم الجزم بأنه لا توجد قوة أجنبية تقف وراء الزعيم اليوم وهذا الشك يقلق مصر»[1].

(١) السابق ص: ٦٥ ـ ٦٦. . باختصار.

لقد كانت الرسالة الثانية حافلة بالمعلومات التي تظهر تواطؤ فاروق مع اليهود عن طريق رئيس وفده عبد المنعم مصطفى كما أظهرت شخصية أخرى في التواطؤ وهو إسماعيل شيرين صهر الملك.. رغم الحيطة والحذر في المبالغة في إخفاء مثل هذه الأمور لأن ساسون يقول في نهاية الرسالة الثانية «واستحلفني بأولادي أن أحافظ على سرية لقائنا وحديثنا».

وفي الرسالة الثالثة أمر ساسون سكوريل أن يرسل رسالة مضمونة إلى المستشار يخبره فيها باستجابة ساسون إلى كل ما نقله له ويعرض عليه التفاهم لإحلال السلام في الشرق بأسره ومما جاء فيها: «والرجل يقرأ الصحف المصرية باستمرار وهو يأسف أن يقول: إنها تهاجم حكومته بأقصى لهجة وتنسب إليها مؤامرات ودسائس لا أساس لها وينطبق هذا على الإذاعة المصرية أيضاً ـ وهو يلفت انتباهكم إلى هذا الأمر ويعتقد أنه يجب وقف هذه الحملات من مختلف النواحي.. إن الرجل مستعد للإجتماع بسرية بالغة بأي شخص توفدونه إلى سويسرا أو فرنسا أو أي بلد محايد آخر وذلك للبحث بصورة مجدية وودية تماماً في أي أمر من شأنه أن يحسن تدريجياً العلاقات بين بلده وبلدكم ويحافظ على المصلحة المشتركة سواء في الشرق أو الغرب ويساعد على إحلال سلام حقيقي دائم في الشرق الأدنى وهو يعتقد أن مثل هذه اللقاءات مهمة ومفيدة جداً».

هذه الرسالة تظهر لنا حلم إسرائيل في المحادثات وكلامها المعسول حول السلام الدائم.. الذي تحقق عام ١٩٧٩ م.. لكن إذا كانت تحب السلام الدائم فكم حرباً خاضتها ضد العرب في المنطقة بعد هذا الكذب..؟

وفي الرسالة الرابعة يتحدث ساسون مع عبد المنعم مصطفى ومما جاء فيها «ثم تحدثنا عن مطالب بلده الإقليمية وهو لا ينكر أنه قال لنا خلال محادثات رودس إنه ليس لبلده أية مطامع إقليمية في فلسطين ولا يزال هذا الموقف قائماً لكن العبرة التي انتهى إليها بلده من اشتراكه في حرب فلسطين تحتم عليه

الإهتمام بأمنه وقد أجرت حكومته خلال الأشهر الستة الماضية استشارات بهذا الشأن مع عدد من الخبراء العسكريين ـ أمريكيين وبريطانيين وفرنسيين.. وسواهم فقالوا جميعاً إن على بلده:

( أ ) الإستمرار في الإحتفاظ بقطاع غزة.
(ب) توسيع مساحة هذا القطاع من الجنوب والشمال على طول الحدود المصرية.
(جـ) توسيع حدوده حتى البحر الميت بناء على خط يشمل المجدل وبئر السبع.
( د ) أن يضم إليه النقب الجنوبي..

ـ ويوضح ساسون لوزير خارجيته ـ وليست هذه في الواقع المرة الأولى التي يثير فيها عبد المنعم هذه المطالب الإقليمية فقد سبق أن أثارها في الماضي.. لكن الفرق هو التالي:

في الماضي عرض مطالبه بشكل متصلب وكشرط لا يمكن تجاوزه للتوصل إلى سلام بين مصر وإسرائيل وعرضها هذه المرة بطريقة لبقة وبشكل يفتح باباً للمساومة وعندما بدأنا فعلاً بالإعتراض على افتراضات الخبراء العسكريين وشرحنا له أنه ينبغي عدم التحدث في ذلك أجاب: ماذا تقترحون مقابل ذلك..؟ لنجد حلاً وسطاً ـ يا له من غباء مطبق ـ ولم نجب بل واصلنا الحديث عن استحالة مطالبه فأدار رأسه نحوي وكرر القول عدة مرات «جِدْ لنا تسوية» رأيت ورؤيين عدم الإستمرار في الحديث حول هذا الموضوع والإكتفاء في الوقت الحاضر بما أسمعنا وسمعنا سأحاول الإجتماع به قريباً مرة أخرى وجعله يسير في الإتجاه السليم إذا أمكن..».

وهكذا نجد أن المباحثات المباشرة لم تجد شيئاً ولم تجعل اليهود يتنازلون عن مقدار ذرة من تصلبهم فهم يطلبون مثل هذه الإجتماعات لإذلال ـ العرب لا أكثر من جهة ولتحصيل الكسب إن أمكن.. فها هم يوقفون الحديث عندما

طلب منهم المفاوض إيجاد تسوية فلم يتكلموا لا بقليل ولا بكثير حتى لا يتورطوا في التنازل عن شيء بل أوقفوا الحديث ليستعدوا لحيل جديدة وخدعة أخرى وهذا يبدو من قوله «سأحاول الإجتماع به قريباً مرة أخرى وجعله يسير في الإتجاه السليم» فهل سيغريه بالمال.. أم سيهدده بالملك..؟

والرسالة الخامسة أوردت الإتصال برئيس الوزراء السوري محسن البرازي حيث أرسل له ساسون رسالة أكد فيها «أن بإمكان المحادثات المباشرة مساعدة المفاوضات التي تجريها لجنة التوفيق في لوزان»...

كما نقل بواسنجيه لساسون «أن أحد رجال المفوضية الفرنسية في دمشق أجرى حديثاً ودياً وصريحاً مع حسني الزعيم حول عمل لجنة التوفيق في لوزان واحتمالات السلام بين إسرائيل والبلاد العربية وقال الزعيم إنه مستعد من جانبه بشروط معينة لإهمال الرأي العام في بلده وفي العالم العربي وعقد سلام منفرد مع إسرائيل وسأل الفرنسي عن الشروط المعينة فأجاب الزعيم: تعديلات في الحدود ثم أخرج خريطة فلسطين ووضع إشارة على مطالبه وكان يقصد نقل حدود بلده إلى أماكن معينة على نهر الأردن وبحيرة طبرية.. وبالنسبة للاجئين فإن سورية مستعدة لاستيعاب عدد كبير منهم بشرطين:

١ ــ منح سورية دعماً مالياً دولياً يمكنها من تطوير مواردها.

٢ ــ تستوعب إسرائيل قسماً كبيراً من اللاجئين..

فقال ساسون بعد ذلك ليست هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن مطالب الزعيم فهي غير واردة في الحسبان أبداً».

وهنا أيضاً عدم الإلتفات إلى مطالب الزعيم رغم تنازلاته الكثيرة لأن فيها فقدان بعض الأراضي واعتبروا قوله هذا من لغو الكلام..

وفي الرسالة السادسة قال ساسون: «إن الممثلين الدبلوماسيين الأمريكيين في البلاد العربية يضغطون كثيراً في هذا الوقت على رؤساء الحكومات العربية

ويحرزون نتائج إيجابية لكنهم متفقـون في الرأي أن على إسرائيل أن تقدم تنازلات أخرى بالنسبة لقضية اللاجئين».

وفي الرسالة السابعة قال ساسون: «أبلغني العضو الثاني.. (في أحد الوفود العربية) اليوم هاتفياً أن رؤساء وفود سورية ولبنان ومصر بعثوا ببرقيات حذروا فيها حكوماتهم من أن تتخذ اللجنة السياسية للجامعة العربية التي ستجتمع في الإسكندرية في العشرين من هذا الشهر قرارات متطرفة من شأنها أن تكبل أيديهم ـ يهمنا من هذا الخبر الجاسوس في الوفد العربي ـ ثم يقول ساسون وقال محدثي ـ أي الجاسوس ـ رداً على سؤالي عن أسباب انفراد رئيس وفد شرق الأردن في المطالبة بالذهاب إلى الجمعية العمومية..

أولاً: يعتقد شرق الأردن أن الجمعية العمومية ستقر بتدخل من جانب انجلترا وأمريكا:

( أ ) استحالة إقامة أكثر من دولة مستقلة في الأجزاء العربية في فلسطين.
(ب) ينبغي ضم هذه الأجزاء إلى شرق الأردن وكذلك يحصل شرق الأردن على اعتراف رسمي بالأراضي التي يحتلها في فلسطين فلا تقع بعد ذلك تحت رحمة إسرائيل أو الدول العربية.

ثانياً: يرى شرق الأردن أنه من الضروري لأسباب داخلية أن يظهر في هذا الوقت متطرفاً في كل شيء..».

ثم يأتي بعد ذلك العميل بواسنجيه الفرنسي ليقدم خدماته إلى ساسون وما أكثر من يقدمون خدماتهم للقوي المنتصر.. فينقل إليه ما ستفعله لجنة التوفيق «بعد يوم أو يومين مثلاً ستطرح اللجنة علينا مجموعة أسئلة تتعلق بقضية اللاجئين والأرض ومن الواضح له أن مجموعة الأسئلة لن تسرنا كثيراً وسنضطر إلى أن نرد دون شك على بعض بنودها بالرفض التام ولكنـه يريـد ـ أي بواسنجيه ـ نظراً إلى أن اللجنة ستمنحنا والعرب مهلة ثمانية أيام للإجابة عنها أن نستعين بخبرته الدبلوماسية في صياغة الأجوبة ولو كانت سلبية فهناك صياغة

قادرة على نسف المحادثات فوراً وهناك صياغة تستوجب الإستيضاحات فيستمر العمل أسابيع» وهذا العرض من قبل بواسنجيه أحد أعضاء اللجنة يذكرنا بالقرار /٢٤٢/ الذي تبنته بريطانيا ولما قبل كان له ألف تفسير. . مما أدى إلى عدم تنفيذه. . فأي حظ لليهود هذا. . . **﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾**[1].

ثم يذكر في هذه الرسالة «وقررت. . أن أبعث بتحية إلى الملك عن طريق ممثل شرق الأردن في لندن الأمير الهاشمي عبد المجيد وحيد وأطلب منه أن يذكر أمامه أن الملقي لم يستجب لدعوته بعد ويشرح له ضرورة المحادثات المباشرة بيننا وبين الوفود العربية من أجل تقدم عمل لجنة التوفيق في لوزان».

ويبدو من هذه الرسالة وما قبلها أن ساسون شخصية مهمة يسعى الجميع إلى خدمتها والإتصال بها فاروق ـ الزعيم ـ عبد الله. . لكن ما السر. .؟ حقاً إن اليهود يعرفون من يرسلون. .

وفي الرسالة الثامنة يبين أحاديثه مع عبد المنعم مصطفى وليست لها أهمية لبحثنا.

وفي الرسالة التاسعة يكشف ساسون عن عميل جديد هو محمد نمر الهواري حيث ترأس وفداً خاصاً من إحدى منظمات اللاجئين وهو الآن قاض في المحكمة المركزية في الناصرة. . ولم يقابل الهواري بالإستحسان من وفود الدول العربية لكن ساسون استقبله وحمله رسالة إلى رئيس الوفد الأردني من أنه سيكشف أموراً كثيرة إذا لم تلغ حكومته التدابير الخاصة ضد منظمة اللاجئين. . وهكذا استجابت الأردن لذلك وأصبح بإمكان الهواري أن يقابل ويتحدث مع الوفود العربية. . أما آراء منظمة اللاجئين التي أيد رئيسَ وفدها ساسون فتتلخص في التالي:

---

(١) سورة آل عمران آية ـ ١١٢.

«إنه لا ينبغي إقرار حدود إسرائيل الحالية فحسب بل منحها أراض إضافية أيضاً لتتمكن من استيعاب عدد أكبر من اللاجئين العرب» وهذا هو السبب في احتضانه من قبل ساسون..

وأما الرسالة العاشرة فكان فيها ما يلي:

يقول ساسون «اجتمعت مع عبد المنعم مصطفى في بلدة صغيرة بالقرب من لوزان «لافيثرت» وفي بداية الحديث طلب عبد المنعم أن نكون صريحين وأن يكشف كل فريق أوراقه فهذا هو أسلوبه في حياته الدبلوماسية ثم دعانا لنكون البادئين.. حددنا جدولاً للأعمال من ثلاث نقاط هي: الحدود ـ اللاجئون ـ التعاون الإقتصادي، وأكدنا أننا نعتبره ممثل مصر وليس ممثلاً للعالم العربي وأننا نريد أن نستجلي معه الأمور التي تخص إسرائيل ومصر فقط لا العالم العربي بأسره.. فوافق..

وقال عبد المنعم: إن السياسة المصرية قائمة اليوم على أمرين:

( أ ) إقامة حاجز بين إسرائيل ومصر وبينها وبين شرق الأردن ويمكن تحقيق ذلك بجعل النقب الشمالي والجنوبي عربياً، عربياً فلسطينياً وليس عربياً مصرياً أو عربياً أردنياً...

(ب) تحسين العلاقات السياسية والإقتصادية بإسرائيل تدريجياً مثلاً يسمح اليوم لمندوبي إسرائيل بدخول مصر والإشتراك في المؤتمرات الدولية التي تعقد في الإسكندرية أو في أية مدينة مصرية أخرى..

وغداً يلغى تفتيش السفن التي تمر في قناة السويس في طريقها إلى إسرائيل ومصر وهكذا لن تمر بضع سنوات إلا وقد قامت علاقات طبيعية بين البلدين وستدرك مصر بمرور الزمن أن إسرائيل أصبحت دولة دائمة وأنه ليست لها أية خطط عدوانية وسينسى الجمهور المصري أحداث السنة الماضية الكئيبة.. وأضاف عبد المنعم إن إقامة الحاجز بين إسرائيل ومصر في النقب بأسره ستساعد ضمناً على أمرين:

١ ــ توطين جزء كبير من اللاجئين في فلسطين بالذات جعل الأجزاء العربية من فلسطين جديرة بالإستقلال الأمر الذي سيمنع شرق الأردن من أن يضم إليه المثلث الفلسطيني وسيساعد على المحافظة على الوضع الراهن في العالم العربي. . ».

نلاحظ أن معظم هذه التنازلات والإغراءات والوشاية ضد دولة عربية أخرى لم تقنع اليهود ولم تزحزحهم قيد شبر عن ما خططوا له فكان جوابهم: أن النقب لهم بموجب قرار التقسيم الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر. . فلماذا إذن هذه الإجتماعات. . ولماذا كل هذا التعب والعبث. . . وكشف الأوراق. . ! من أجل أن تفتح أمام اليهود مطامع جديدة ومطالب لم يكونوا من قبل يجرؤون على طلبها. . .

أما الرسالة الحادية عشرة فقد قال فيها ساسون ما يلي:

كان عبد المنعم غاضباً على العالم كله. . كان غاضباً على أعضاء لجنة التوفيق الذين لم يظهروا أبداً كحياديين لا في المحادثات الخاصة ولا الرسمية بل يبحث كل منهم قبل أي شيء عن مصلحة حكومته. . وكان غاضباً على رؤساء الوفود العربية الذين صرفوا اهتماماً شديداً ووقتاً طويلاً على المسارح والملاهي وعلى (فتيات سويسرا الشقراوات) أكثر مما صرفوه على العمل الذي حضروا من أجله أضف إلى ذلك أنهم جميعاً صوتوا من أجل نقل عمل اللجنة إلى نيويورك وليك سكس وفضلوا حلاً مفروضاً على حل متفق عليه ليتمكنوا من الحضور إلى أمريكا ومشاهدة بلد غربي جديد (وفتيات جديدات) ـ إنه صادق فيما يقول لكنه يغالط نفسه في قوله: وفضلوا حلاً مفروضاً على حل متفق عليه. . فأين الحل المتفق عليه وهو الذي انفرد مع اليهود بمفاوضات كانت عقيمة بسبب تعنت اليهود أما في رأينا فالمفاوضات كلها باطلة ولا يعول عليها في شيء ـ واستطرد ساسون في رسالته يقول عن عبد المنعم: إنه غاضب على الدول العربية التي هزمت في حربها ضد إسرائيل وترفض الاعتراف بهذه الحقيقة الأبدية وكان على هذه الدول المهزومة أن تفعل أحد أمرين إما أن تخضع وتقبل شروط

الاسرائيليين أو أن تحارب من جديد وتزيل الوصمة عن جبينها ولكن من غير المعقول على الاطلاق أن تتنكر للحقيقة وتتقدم بمطالب متطرفة كجائزة على فشلها وهذا هو البرهان الأكيد على عدم النضج السياسي الكامل ـ هل النضج السياسي بالتنازلات. . ؟ان الاعتراف لهم بشبر من الأرض هو في نظر الاسلام جريمة أما ما العمل فهو الاعداد للجهاد مهما طال الأمد ومثل هذه الحرب المصيرية لن تحسم في أيام أو سنوات لقد رمى الغرب بثقله كما فعل أيام الحروب الصليبية وعلينا أن نتحمل ونعد لمن بعدنا وهكذا حتى يتهيأ الجيل الذي يحرر البلاد ـ وهكذا من خلال دراستنا لهذه الرسائل يتبين لنا مهازل الاجتماعات واللقاءات مع العدو وعدم اجتماع كلمة العرب بل الكيد بعضهم لبعض وكشف عوراتهم أمام الخصم المتربص ليزداد طمعاً فوق طمعه حتى باتت الدول الكبرى التي مهدت لهذا العدو تحسده على ما توصل إليه من إنتصارات سهلة وتعمل خفية على كبح جماحه وهي التي واجهت من العرب أثناء احتلالها لديارهم وهم منفردين أقسى أنواع الحروب والتضحيات حتى أخرجوها مكرهة. . ويا للغرابة فقد تغير الحال في مواجهة العدو اليهودي. . **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[1].

وهكذا لم يتوصل مؤتمر لوزان إلى أي حل بسبب موقف اليهود الذي يريد كل شيء ولا يعطي أي شيء و«ينص البروتوكول ـ المقرر ـ على أن قرار تقسيم فلسطين الذي اتخذته الجمعية العامة في ٢٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٤٧م هو أساس لمناقشة الحدود بين إسرائيل والبلاد العربية وإن قرار الجمعية العامة الصادر في ١١ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٤٨ بشأن عودة اللاجئين واحترام حقوقهم وصون ممتلكاتهم هو أساس لبحث هذه المواضيع وحلها وبعبارة أخرى فان إسرائيل في توقيعها على بروتوكول لوزان قبلت بحدود تقسيم فلسطين مع إجراء تعديلات عليها وبتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بعودة اللاجئين

---

(١) سورة الرعد آية ١١ ـ كما يراجع من أجل التعرف على نص الرسائل ـ عادل مالك ـ من رودس إلى جنيف من ص ٦٣ ـ ٨٦ ـ دار النهار للنشر ١٩٧٤م.

وحقوقهم وممتلكاتهم وتعويضهم مما لحق بهم من أضرار»[1].

ومن خلال هذا النص يتبين لنا أن العرب قد قبلوا بقرار التقسيم كما قبلت به إسرائيل.. ولكن العرب طلبوا من إسرائيل تنفيذه بعد أن خسروا الحرب فامتنعت إسرائيل لأنها منتصرة رغم قبولها به وكان قبولها له من باب النفاق السياسي وأخذ العرب بالجدال العقيم.

## المجازر المروعة بعد النكبة:

أما الحادثة المروعة فهي مجزرة قبية «ففي ١٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٣ كانت القرية تبعد عن الحدود الاسرائيلية ميلاً ونصف الميل وسرعان ما استعدت قوات الحرس الوطني لمجابهة العدو وقد أخذت استحكاماتها عندما شعرت بتحركات قرب القرية ثم أخذ اليهود بإطلاق النار من مدافع ـ المورتر ـ والبنادق السريعة واستمرت العملية من الساعة العاشرة والنصف حتى بعد منتصف الليل وفي هذه المدة استنفذ الحرس الوطني ذخيرته فقد كان كل جندي يحمل خمساً وعشرين طلقة.. فجر اليهود عندما دخلوا القرية اثنين وأربعين منزلاً.. لقد تساقطت هذه البيوت على أصحابها الآمنين وعندما أصبحت القرية يباباً وقد دفن أهلها تحت أنقاضها انسحب العدو وهو يطلق نيرانه معلناً النصر.. خسر العرب ستة وستين شهيداً في قبية معظمهم من النساء والأطفال وأصبحت القرية أثراً بعد عين»[2].

ويتهم جلوب الحرس الوطني حين يقول: «كان دفاعنا ضعيفاً مع الإشارة إلى أن الحرس الوطني لم يقم بواجبه حق القيام بدليل أن واحداً منهم لم يقتل أو يجرح» علماً بأنه يذكر دون خجل أن كل جندي يحمل خمساً وعشرين طلقة.. وماذا تعمل هذه في الحرب إذا علمنا أن عدد هؤلاء الحراس لا يتجاوز

---

(١) د. يوسف هيكل ـ فلسطين قبل وبعد ـ ص ١٤٨ ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧١م.
(٢) السابق ص ١٨٢.

العشرة.. ولكن الخوف وعدم الثقة من الحرس الوطني وعدم الثقة بالسكان جعل الحكام ينزعون السلاح منهم ليلاقوا مصيرهم الأسود في حين أن القرى اليهودية مدججة بالسلاح.. ويبرر جلوب باشا عدم قدرة الجيش الأردني على دفع العدوان بعذر أقبح من ذنب حين يقول: «فخلال صيف عام ١٩٥٣ م وقعت عدة حوادث قتالية كانت بعض قوات الجيش منهمكة فيها.. فتتويج جلالة الملك واشتراك الجيش بالجملة ضد الجراد والحوادث على الحدود كل ذلك لم يدع للجيش ثمة مجالاً للتدريب»[1]. فهل خلق الجيش لمثل هذه الأمور..؟

أما مذبحة كفر قاسم فكانت كالتالي:

«قبيل غروب شمس يوم ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٦ وهو اليوم الذي هاجمت فيه القوات الإسرائيلية قطاع غزة وسيناء دخل جند من قوة الحدود الإسرائيلية قرية (كفر قاسم) الواقعة في المثلث على الحدود مع الأردن وفرض ضابط تلك القوة منع التجول بعد نصف ساعة وكان الوقت قريباً من الغروب وأمر جنده بإطلاق النار على كل عربي خارج بيته دون تردد أو إنذار.. وأعلم بذلك مختار القرية فأبان المختار للضابط أن كثيرين من أهل القرية خارجها يعملون في حقولهم والوقت المحدد لابتداء منع التجول وهو نصف ساعة غير كاف عملياً لإعلام السكان بالتزام بيوتهم والقادمون إليها ممن هم خارج القرية لا يعرفون أن منع التجول مطبق في قريتهم.. ولم يستجب الضابط لكلام المختار.. فمضت مهلة النصف ساعة وابتدأ أهالي القرية يعودون إلى منازلهم على غير علم بمنع التجول وفوجئوا بنيران الجند الاسرائيلي تطلق عليهم وتقتل منهم/٥١/ واحداً وخمسين شخصاً وتجرح ثلاثة عشر آخرين وكان من بين القتلى اثنتا عشرة امرأة وعشرة صبيان بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة وسبعة أطفال بين الثامنة والثالثة عشرة..»[2].

---

(١) السابق ص ٨١.

(٢) د. يوسف هيكل ـ فلسطين قبل وبعد ـ ص ١٥٣ ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧١م.

وحوكم الضابط الذي كان سبباً في هذه المجزرة على أعين الناس.. أما جزاؤه فكان تغريمه بدفع «سنتين» ـ أي اثنين من مائة من الجنية ـ والذي يلفت نظرنا في هذه المحاكمة إجابته على سؤال وجهه إليه القاضي: ماذا كان يفعل لو التقى بامرأة عربية تريد دخول بيتها وهي لا تشكل بحال من الأحوال خطراً على الأمن. أجاب: «أطلق عليها النار دون أن أشعر بأي عطف»[1].

إذاً فالغاية هي القتل والارهاب وبالتالي احتلال الديار بعد فراغها من السكان وفي كلمة تجرد يقولها جلوب باشا «يجب ألا ننسى أن قضية اللاجئين كانت من جراء أعمال اليهود الوحشية وأن الدعاية التي تقوم بها إسرائيل والتي تدعي فيها أن العرب غادروا البلاد من تلقاء أنفسهم كانت دعاية فاشلة كاذبة فالعربي الذي يغادر أرضه راضياً كان من الواجب عليه أن يبيع بيته إذا كان يملك بيتاً أو أن يحمل أمتعته وأن يستعد لهذا الرحيل خلال أيام على الأقل ولكن أن يغادر بلده دون أن يحمل شيئاً ودون أن يعرف مصير عائلته وأن يقتل ابنه وهو في يده حتى لا يفكر في العودة.. إن عربياً خرج من فلسطين على هذه الطريقة لم يغادر فلسطين راضياً إنما اليهود أجبروه على الخروج تحت وطأة الضغط والخوف والارهاب وعلى أثر المجازر الرهيبة التي قاموا بها في طول البلاد وعرضها، ان المجرم عادة سرعان ما يتناسى جريمته وموقف إسرائيل كان كذلك فهي على أثر جريمتها الوحشية التي لم يعرف في التاريخ مثيلاً لها، تناست أنها أجبرت العرب على الخروج من البلاد لذلك كان أمر المتسللين يصعب لديها فكانت قواتها تطلق النار على كل من يحاول اجتياز الحدود وعندما أخذت عمليات التسلل بالتزايد لم يكتف اليهود بإطلاق النار على المتسللين إنما أخذت بمهاجمة القرى.. العربية الآمنة..»[2].

---

(١) السابق ص ١٥٥.

(٢) جلوب باشا ـ جندي مع العرب ـ ص: ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ترجمة عفيف حسن الصمدي ـ دار النشر للجامعيين.

## عود على بدء

أولاً: إن عنوان الرسالة «الوظيفة الاعلامية» للشعر الاسلامي المعاصر في«قضية فلسطين» فطالما ذكرت قضية فلسطين فإنه لا بد من ذكر أهم أحداثها التاريخية لتظهر الصورة جلية في أثناء مواكبة الشعر الاسلامي لمراحل القضية المتلاحقة، وما الحدث إلا ذكر التاريخ.

ثانياً: ما هو الاعلام..؟ وهل الاعلام مادة؟ أم أنه الأسلوب والطريقة والوسيلة والتحليل والتفسير..

فالاعلام ليس مادة قائمة بذاتها وإنما هو الأسلوب والتفسير والوسيلة لعرض المادة التي منها التاريخية والجغرافية والطبية والثقافية والحياتية.. الخ.. ولو كان الاعلام مادة لما اختلف عليه اثنان ولما تنوعت نظرياته حسب مباديء الدول ولكان الاتفاق فيه أمراً مسلماً كما يتفق على الأمور الجغرافية والأحداث التاريخية وغيرها من المواد الأخرى.. فالاتفاق كائن عالمياً على أن مساحة لبنان مثلاً هي عشرة آلاف كيلو متر مربع وكذلك الجميع متفقون على أن غزوة بدر حدثت في السابع عشر من رمضان السنة الثانية للهجرة..

فالاختلاف وقيام نظريات متعددة دليل على أن الاعلام ليس مادة تعرض بذاتها وإنما هو التفسير لمادة ما والأسلوب والوسيلة لعرضها..

ولو تتبعنا نشرة إخبارية في وقت ما لوجدناها تحتوي على ذكر مواد تاريخية وجغرافية وطبية وتوجيهية وثقافية.. الخ.. فالاعلام يبلغ هذه المواد ويعرضها وكل عرض للمواد يسمى إعلاماً ولكن يختلف نوع الاعلام باختلاف العارض. فالمادة المعروضة متفق عليها من الجميع ولكن الاختلاف موجود في الأسلوب والطريقة والتفسير والتحليل ونوع العارض لهذه المادة.. نحن العرب نتكلم عن حرب فلسطين التي حصلت في الخامس عشر من أيار عام ١٩٤٨ ونعتبر هذه الحرب حرباً تآمرت فيها بريطانيا مع اليهود على اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها منها ونستعد ليوم التحرير.. بينما يعتبرها اليهود انها أعادت لهم أرضهم المسلوبة

وحقوقهم الضائعة منذ ألفي عام.. وهنا نجد اختلاف التفسير في حدث متفق على حدوثه في زمن واحد.. فالاعلام العربي فسر الحدث بالاغتصاب والجريمة والاعلام الصهيوني فسره بالشرعية واسترداد الحق المسلوب.. وعليه فذكر التاريخ مجرداً هو تاريخ فقط ولكن تفسيره وتعليله هو الاعلام.. فإذا فسر الحدث من وجهة النظر الاسلامية كان إعلاماً إسلامياً.. وهكذا..

ثالثاً: بناء على ما تقدم فإنه ليس من داع لذكر كلمة اعلام وتكرارها بين حين وآخر لنثبت أننا نكتب في الإعلام فالمنهج أضحى واضحاً، وطالما أننا لا نأتي على ذكر المادة إلا بالتحليل والتفسير فالموضوع إعلامي لا شك فيه..

أما الهدف من ذكر الشعر الاسلامي وتغطيته الاعلامية لهذه القضية فقد كان القصد من ذلك الوقوف على منهج إسلامي نهل أصالته من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسار في خط مواز تماماً لخط الكتّاب والمفكرين الاسلاميين تجاه القضية نفسها فالموقف من الاحتلال عامة ومن اليهود خاصة هو موقف الاسلام.. وبهذا يكون الشعراء المسلمون قد التزموا بالاعلام عن قضيتهم من خلال ما تعلموه من دينهم فلم يماروا أحداً ولم يغيروا مواقفهم وفق التيارات العالمية صعوداً أو هبوطاً بل كان خط السير من بداية المشكلة الفلسطينية وحتى هذه الأيام واضح المعالم والمسار لا خلاف عليه، ولقد وقف هؤلاء الشعراء جل شعرهم على القضية أو القضايا الاسلامية عازفين عن شعر اللهو والغناء، كل همهم أن ينقلوا تصوراتهم الصحيحة الناضجة إلى جيل أمتهم وأن يغرسوا فيه الأصالة وصدق الكلمة والإباء، لأن المسلم أصيل وأبي وصريح في قوله وفعله لا يرضى الخنوع ولا الخنى.. ولهذا فإنه لا ينبغي لمنصف أن ينكر فضلهم في بناء هذا الجيل، إذ الشعر بما حوى من موزون الكلام وحسن جرسه له تأثيره الحماسي في نفوس الشباب[1] والشباب بطبعه ميال إلى الحماسة.

والبطولات لما امتلك من قاعدة إيمانية صلبة أساسها صدق الكلمة ونضارتها،

---

(١) لقد نقل لنا التاريخ صورة المبارز المسلم في المعركة وهو يكر على الفرسان ولسانه يرتجز بعد ذكر الله شعرا يفيض حماسة واقداما يمنيه بنصر مبين أو بجنة فردوس عرضها السموات والأرض.

لهذا نجد جيل أمتنا اليوم يزداد ثقافة وعلماً وحيوية فيطالب بالجهاد وتحكيم الإسلام.. لقد تغير وجه الجامعات في البلاد العربية فبعد أن كان للتيارات المعادية للإسلام سيطرة ملموسة فيها عادت للتراجع والإنحسار شيئاً فشيئاً وبعد أن كان فيها جيل همه أن يتعلم ما يوصله إلى تحصيل لقمة عيشه سالكاً أي سبيل يطلب منه أو يملى عليه.. أصبح اليوم يتعلم ليعمق أصالته الإسلامية ويطالب بعدها من خلال ما امتلك من إيمان تطبيق حكم الإسلام.. وتحولت اتحادات الطلاب التي أسست لتأخذ ببد الشباب نحو الهاوية والإنحراف والعلمانية إلى اتحادات انقلبت رأساً على عقب لتكون ـ في أكثر الجامعات العربية ـ انطلاقة أمل مشرق وتوثب لاقتلاع جذور الماضي العلماني البغيض الذي سيطر فترة من الزمن على عقول الدارسين وقلوبهم..

## دراسة مقارنة بين الشاعر المسلم وغيره:

فالشاعر الإسلامي إلى جانب المفكر الإسلامي والداعية الإسلامي كان لهؤلاء جميعاً الفضل في التوجيه نحو وحدة الفكر وتعميق الشعور بالإنتساب إلى الإسلام نهجاً وسلوكاً ووحدة رأي ووقفة إيمان من قضايانا الحاضرة وعلى رأسها قضية فلسطين في حين نجد عند غير الملتزمين من الشعراء والكتاب تعرجاً في المسار وعدم شفافة في الرؤية.. فالوقوف من القضية يأخذ أبعاداً مختلفة حسب السياسة الدولية، وتكاد تخلو من أشعارهم معاني الإسلام الأصلية كالجهاد والشهادة والبذل والثواب والحساب والوحدة على أساس العقيدة.. وتجد دعواتهم للعمل تائهة متباينة منها من يطلب الحل والسلام.. ومنها من يكون هدفه من قتال العدو دنيوياً لا دخل للإسلام فيه.. لأنه أصلاً ينكر المنهج الإسلامي.. وبالجملة فإن لهؤلاء قاسماً مشتركاً وإن تباين الفكر ألا وهو نكران الحل الإسلامي والإعتماد على الحل اللاديني العلماني..

ولنأخذ مثلاً من هؤلاء شاعر الأرض[1] المحتلة الذي أحدثت حوله ضجة

(١) د. عبد الرحمن ياغي ـ دراسات في شعر الأرض المحتلة ـ ص ٢٦٥ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ طبعة ١٩٦٩م.

كبيرة لشعره الفلسطيني الأصيل. . ولنستمع إليه في عدة قصائد إن كنا نستطيع أن نحدد هدفاً لشعره أو إمكانية إحداث أثر إعلامي في شحن وتعبئة الجماهير لحثهم على مقارعة الغاصبين قال:

إذا كنت أُغني للفرح
خلفَ أجفانِ العيون الخائفة
فلأنَّ العاصفة
وعدتني بنبيذٍ
وبأقواسٍ قُزَح
كان صوت الدم
مغموساً بلون العاصفة
وحصى الميدان أفواه جروح راعفة
وأنا أضحك مفتوناً بميلاد الرياح
عندما قاومني السلطان
أمسكت بمفتاح الصباح
وتلمست طريقي بقناديل الجراح
عندما كرست قلبي
لنداء العاصفة (محمود درويش)

ويقول أيضاً:

عندما تنفجر الريح بجلدي
سأسمي كل شيء باسمه
وأدقُ الحزن والليل بقيدي
يا شبابيكي القديمة. .
على جبيني قمر لا يغيب
ونار وقيثارة في فمي



obeikandl.com

إذا مت حباً فلا تدفنيني
وخلي مزيجي رموش الرياح
لأزرع صوتك في كل حين
وأشهر سيفك في كل ساح
أحبك كوني صليبي
وما شئت كوني
وكالشمس ذوبي
بقلبي.. ولا ترحميني..[1]

ويقول:

آه يا ذات العيون السود
والوجه المعفر
يشرب الشارع والملح دمي
كلما مرت على بالي أقمار الطفولة
خلف أسوارك يا سجن المواويل الطويلة.. خلف أسوارك بيت عصافيري ونحلي ونبيذي وخميلة..[2].

ثم لا ينسى أن يُعَرّض بالتاريخ الإسلامي لأنه يرفضه عندما يقول:

لا بد للشاعر من نخب جديد
وأناشيد جديدة
إنني أحمل مفتاح الأساطير
وآثار العبيد
وأنا أجتاز سرداباً من البخور
والفلفل والصيف القديم

(١) السابق ص ٢٧٠.
(٢) السابق ص ٢٧٦.

وأرى التاريخ في هيئة شيخ
يلعب النرد ويمتص النجوم
إنه يذكر حراء وبيت العنكبوت
وليكن
لا بد لي أن أرفض الموت
وإن كانت أساطير تموت
إنني أبحث في الأنقاض عن ضوء
وعن شعر جديد[1]

في حين نجد عند الشعراء الإسلاميين عاملاً مشتركاً يكاد يظهر في كل قصيدة بحيث يركز الشاعر على السير وفق نهج الله والوحدة على أساسه والإعداد والقوة وعدم مهادنة العدو والجهاد وبذل النفس والإستشهاد والجنان واليهود وطباعهم المستمدة من الكتاب والسنة. وخبث طباعهم.. ودعوة المسلمين لمعاملتهم وفقها.. وهذا ما سنراه عندما نقدم نماذج من شعرهم..

**الشعر الإسلامي الذي قيل في الفترة من ١٩٤٦ ـ ١٩٥٥ م..:**

لقد كانت فترة عام ١٩٤٦ فترة عصيبة في تاريخ فلسطين.. حيث ازدادت شراسة اليهود فلجأوا إلى الإغتيالات والتخريب وكان لا بد من شد عزيمة أهل فلسطين لكي يوحدوا صفوفهم ويهرعوا صفاً واحداً للجهاد في سبيل الله من أجل الذود عن الديار والنفس والعرض والمال.. فصور لنا الشاعر برهان الدين العبوشي حالة الحشد والتسابق لميادين القتال فقال:

وَثُـرنَـا ثـورةَ الجبـار نحمي ... حِمى الأوطانِ من كيدِ الأعادي
وخُضْنا الموتَ لا نـألو جهـاداً ... وألبسنـا العِـدى ثـوبَ السـوادِ
لنسا مـاضٍ يُجَـدِّدُهُ شبـابٌ ... تـراهمْ كـالمـلائِكَـةِ الشِـدَادِ

(١) السابق ص ٢٧٦.

سمعنا المجدَ يدعونا فثُرنَا ... ولبّينَاهُ بالدمِ والعَتَادِ
وآثرنا الجبالَ مقامَ عزٍ ... نُثيرُ النارَ فيها بالزِّنادِ
فدونَكُمُ الحواجزَ فاقْحَمُوها ... ولا تُبقوا لَها أثراً بنادِ
ألَا لَبُّوا فِلسطِيناً فإني ... سمعتُ صَلاحَهَا فينا يُنَادي
فلسطينٌ لنا نحمي حِماها ... وَنَفْديها بأرواحِ العبادِ
فعاهِدْ أيُّها العَرَبِيُّ وانهضْ ... فقد نادى بنا داعي الجِهَادِ[1]

ثم يدعو إلى رص الصفوف ويجعل القضية قضية كل المسلمين حين يقول:

لِلهِ دَرُّكَ يا جَريحَ بلادِهِ ... فلقدْ شَفَيْتَ نفوسَنَا مِنْ دائها
هاجَمْتَ دَبَّاباتِهِمْ فَصَرَعْتَهَا ... وَأَتَيْتَها من فوقِها وَوَرَائِها
لِلهِ أنتَ فقد نَدَبْتَ جُنُودَنَا ... للموتِ ثم هَجَمْتَ تحتَ لوائها
وسَبَقْتَنا وزعيمُ كلِّ جماعةٍ ... من سابقِ الأبطالِ في هَيْجَائِها
أُوْصِيكُمُ بالإتحادِ فإنَّهُ ... يُبْقِي البلادَ وعزُّنا ببقائِها
هذي قوافِلُنا التي نَزْهُو بها ... خَطَّتْ لأُمَّتِنَا العُلَا بدِمائها
هذا عِراقيٌ وهذا أُردنيْ ... قد أَبْلَيَا للهِ في أعدائِها
انظرْ إلى السوري يَطْفَحُ نُورَهُ ... وإلى فتى لبنانَ سيفُ إبائها
لا تَعْجَبوا هذي فلسطينٌ لنا ... وجميعُنَا نَفْنَى لأجلِ هَنَائِها
مرحى لأُمَّتنا فقدْ لاح الرجا ... والبأسُ والإيمان في شهدائِها[2]

ولما اختلف الناس في فلسطين وذهب كل فريق يشايع مذهباً.. رسم الشاعر للناس الطريق الصحيح ووجههم نحوه.. فقد كان إلى جانب شعره رجل جهاد.. فقال:

---

(١) برهان الدين العبوشي ـ مسرحية وطن الشهيد ـ ص ٥٢ ـ المطبعة الاقتصادية ـ القدس ـ ١٩٤٧م.
(٢) السابق ص ٥٩.

ولما رأيت الناس مالوا عن الهدى ... وشايع كلٌّ مبدأً للأجانب[1]

تَمَسَّكتُ بالقرآنِ إذ هو مَبْدَئِي ... أُنيرُ به بحرَ الحياةِ لقاربي

حَقَرْنا مبادينا فضعنا ولم نزلْ ... على رغم ما نَلْقَى عبيدَ المناصب

قَدِ ابْتَدَعُوا هذي المبادِئَ خِدعةً ... ليستعمروا الشبّانَ منْ كلِ جانب

وقدْ أسسوا في كلِّ قطرٍ مَدَارِساً ... تبثُ سمومَ الشكِ في كلِ طالب

ونمنا ولمْ نَأْبهْ لمكرٍ منظمٍ ... يُمَزِّقُ شملَ الود بينَ الأقارب

ومِنْ عَجَبٍ أنّا خَبَرْنا إدعاءَهمْ ... فلم نَجْنِ منه غيرَ لدغِ العقارب

ولستُ أرَى خيراً بهم وبصدقهمْ ... وكيف أرَى خيراً بدعوةِ غاصب

فعدْ بي إلى القرآنِ إذْ فيهِ كلُّ ما ... يُغِيثُ بني الإنسانِ عندَ النوائبِ

بهذا نصونُ الملكَ من شرِّ طامعٍ ... ونحفظُ للإنسانِ حقَ المواهبِ

بُلينا بشذّاذِ اليهودِ ليُفْسِدوا ... وقد حَمَلُوا من غربِهمْ ذا المُشَاغِبِ

وقد حَسِبوا أنّا نَلِينُ بغدرِهمْ ... وإرهابِهمْ شاهتْ وجوهُ الثعالب

ولولا حرابُ الإنجليز رأيتَهُمْ ... إذا ما فَلَقْنا رأسَهمْ كالأرانبِ

سلوا (جُبَّعَا) عن يومِ (بُلْعَا) وسائِلوا ... شَقِيْقَهمَا (المنطارَ) عن دمِ واجِبِ

يُجِبْكَ بأنَّ الدهرَ لم يلقَ غيرَنا ... يَهُزُّ لواءَ العزِّ فوق الكواكب..

ولما اشتد القتال في فلسطين عامة وفي القدس بشكل خاص صرخ الشاعر صرخة مدوية بالعرب من أجل القدس فقال:

---

(١) السابق ص ٧٢.

جبعا: مكان بين نابلس وجنين دارت فيه معركة حامية في/١٩٣٦/٩/٢٤ وأسقطت طائرتان للانجليز..

بلعا: جرت فيها معركتان، معركة بلعا الأولى جرت صباح ١٩٣٦/٨/١٠ وفيها كمن المجاهدون لقافلة عسكرية وألحقوا بها خسائر فادحة وجرت معركة بلعا الثانية في ١٩٣٦/٩/٣ وتقابل فيها ١٠٠٠ مجاهد ومع ٥٠٠٠ جندي بريطاني ومني فيها الانجليز بخسائر فادحة. وبلعا قرية نابلس.

المنظار: جبل كمن فيه المجاهدون في معركة بلعا الثانية. (انظر ص ٣٣٧).

أيهـا السـادةُ أحـرارُ العـربْ قدْ رأيتمْ في فلسطينَ العجبْ[1]
كـابـدَ الأخـوانُ أهـوالاً بهـا واستماتوا في حِماها المغتَصَب
كـل شبر في فلسـطينَ غـدا في يـدِ الأعـداءِ قبـراً للعـربْ
فـادفعـوا الشـرَ سـريعـاً قبلمـا يحرقُ العرْبَ مِنَ القدسِ اللهبْ
وابـذلـوا المـالَ لإنقـاذِ الـذي قـد تَبَقَّى من تـراثٍ مُنْتَـهَبْ
إنّمـا العـارُ علينـا أنْ نـرى أَهْلَنا في القدسِ قد عانوا وَصَبْ
إنَّ جرحَ القدسِ لا يُنْسى وها نحنُ جِئْنَا بَعْدَمـا الصبرُ نَضَبْ

ولما زارت اللجنة المشكلة من الأمم المتحدة فلسطين قاطعها أهل فلسطين وأوصى الشعراء بذلك فقال:

لَقَـدْ تَلَظَّتْ فلسـطينٌ بفتيتهـا وكلهمْ يـطلبُ التنـظيمَ والعـملا
تحملوا رهقاً في العيش لم يهنوا وبعضهم مات يوم الذود أو قتلا
فعالجوا الأمر فالأحداثُ مسرعةٌ ووحدوا الشملَ نجن الشهدوالعسلا
هذي اللجانُ حرامٌ أنْ نقابِلَهَـا فقاطعوها فقد ضج الحمى مَلَلاَ
وكيفَ نقبلُ حكمَ الخصمِ في بلدٍ منـه البلاءُ على يـافوخِـهِ نَـزَلا

ثم جاء رفض التقسيم والعمل لاستنقاذ البلاد والإنضمام إلى جامعة الدول العربية فقال:

سنستميتُ دفـاعـاً عن قَضِيَّتِنـا ولـو لقينَا بهـا الأهوالَ والعطبا
وسوفَ نحملُ أعلامَ الفداءِ غداً وَنَبْلُغُ الأَمَـلَ المَـرْجُـوَّ والأَرَبـا
ويستقـلُ حِمانـا ضمنَ جـامِعَـةٍ عريقةٍ عزُّها قـد طاوَلَ الشُهُبَـا
لا عيشَ للعربِ بالتقسيمِ فانتبهوا فإن ننم نخسر الأجيالَ والحُقَبَا

(١) السابق ص: ٨٢ ـ ٨٣.

فوحدوا الشملَ وامضوا كتلة فإذا تَفَرَّقَ الأهلُ ذُقْنَا الويلَ والعَطَبَا
سيشكرُ اللهُ مسعاكم ويحرُسَكمْ فَطَمْئِنُوا الناسَ إنَّ النصر قد قربا

وسار في هذا الخط الشاعر عدنان النحوي[1] فقد هاله الركود أي ركود الثورة وانشغال الناس بالأحزاب والأمور الجانبية التي لا تخدم القضية مما يُؤثّر تأثيراً سيئاً على مستقبل فلسطين ومصيرها فسخر شعره من أجل شد العزائم والهمم ونبذ الخلافات فقال عام ١٩٤٤ م:

فيا قوميَ استولى النعاسُ عليكم وغيرُكُمُ بالدهرِ يشقى ويتعَبُ
فنالوا مَنَالاً قد رواه جبينُهم وَأَسَّسَهُ عزمٌ شديدٌ مُدَرَّبُ
وأنتمْ أقمتمْ في خِباءٍ مِنَ الكرى وقامتْ بباتُ الدهرِ تبكي وتندُبُ
ولم تنهضُوا حين استفزَّ شعورَكُمْ ونَبَّهَكُمْ هذا العدوُ المُجَرِبُ
أَمَا أَضْرَمَتْ تلكَ الربوعُ حماسةً تَجيشُ بصدرِ الحُرِّ والحرُّ يَغْضَبُ
أراكمْ بلفظٍ تُضْرَمُ النارُ فيكُمُ وتذوي سريعاً بعد ذاكَ وتذهَبُ
أرى لِيَدِ الأحزابِ فيكمْ مَضَارِباً وأيْدي الوئامِ الحرِ فيكم تُشَذَّبُ
فدونكُمُ الأيامُ فاشْقَوا وجاهِدُوا فما العمرُ إلا أنْ تُعانوا وتطلبوا
بني وَطَني هُبُّوا فقدْ طالَ نَومُكمْ وَبَاتَتْ عَلَيْكُمْ فرصةُ الدهرِ تَغْرُبُ

ولما جاء العيد أبى الإبتسام لأن بلاده في محنة احتلال واغتصاب فقال يبث شجونه عام ١٩٤٥ في قصيدة «عيد في فلسطين»:

يبث شجونه عام ١٩٤٥ في قصيدة «عيد في فلسطين»:

أيُّها العيدُ أينَ منكَ الوعودُ طالَ فيكَ الرجاءُ والترديدُ
بَسَمَ الكونُ إذ طَلَعْتَ عليه وَزَهَا في مديحكَ التغريدُ
فهل العيدُ حُلَّةٌ من حريرٍ وشبابٌ يلهو وليلٌ وغيدُ

(١) عدنان النحوي ـ الأرض المباركة ص ٢٩ ـ المكتب الاسلامي ـ بلا تاريخ.

إنَّما العيدُ أنْ تُدَوِّي السرايا ... وَتُدمَّى مِنَ الطِعَانِ النُجُودُ
هل شجاهُ أَعْطافُ مُلْكٍ تناءَتْ ... حينَ كانَ الإسلامُ منها العمودُ
هل رَأى المُلْكُ حينما ثَبَّتَ الملـ ... ـكَ جهادٌ من اهلِهِ محمودُ
هل بكَى الروضُ حينما اقْتُطِفَ الزهـ ... ـرُ ولما قد جَفَّ منه العودُ
ذاك عهدٌ مَضَى وما كانَ فيه ... مَنْ يُقَاسي ولا تَأَسَّى شَرِيدُ
حينما جَمَّعَ العروبةَ دينٌ ... وديارٌ فذاكَ ثمةَ عيدُ
هي ذكرى بين الفراتِ وبين الـ ... ـنيلِ منها دمعٌ ونوحٌ شديدُ
أمَّةَ الحق! ما دهاكِ وأَوْهَى ... جَمْعَك الصدعُ واسْتَتَبَّ الجُمُودُ
خَدَعَتْكمْ وعودُهُمْ فلكمْ منـ ... ـهم عهودٌ من بعدِها وَعُهودُ
كم مضى! كم مضى وأنتم أُسارى ... في حبالٍ قد طال فيها الرقودُ
فتنةٌ بعد فتنةٍ بعد أخرى ... وهياجٌ من بعدِهِ تشريدُ
واختلافُ الأحزابِ في حَلِّ أَمْرٍ ... ليسَ في حَلِّ أمرِهِ تعقيدُ
جمّعوا أمركم وهُبُّوا فمن جَمَّـ ... ـعَ أَمْراً ترعى هواهُ الجدودُ[1]

ولما استبطأ استيقاظهم عاد فكرر صرخته بهم في العيد التالي عام ١٩٤٦م.. فقال:

هلْ عُدْتُ بالأمل المحبوبِ يا عيدُ ... عودٌ سَعيدٌ فَهَلْ في العَودِ تجديدُ
ما زلتُ أَرْجِعُ للذكرى فَتُؤْلِمُني ... وفي التَّذَكُّرِ تَعْذِيبٌ وتسهيدُ
ما زلتُ أَذْكر أياماً مضت وَخَلَتْ ... والعِزُّ فيها على الأرجاءِ مَمْدُوْدُ
قد كان يَجْمَعُنَا دينٌ وَيُسْعِدُنا ... عيدٌ ويومٌ مِنَ الأيامِ مَشْهُودُ
لم يَبْقَ فيهِ حَزِيْنٌ في مُلِمَّتِهِ ... ولا تَشَتَّتَ في البلدانِ منكودُ
ما العيدُ إلَّا إذا قامتْ دعائِمُنَا ... وفوقها علمٌ للدين معقودُ[2]

(١) السابق ص ٣١.
(٢) السابق ص ٣٥.

ما العيدُ إلاَّ لِحُرٍّ لَمْ يَهُنْ أَبَداً ولا بَدَا وَهوَ في الأغلالِ مَصْفُودُ

وقد أرسل سيد قطب[1] قصيدة الى المجاهدين في فلسطين عندما انتفضوا على بريطانيا والغاصبين اليهود فقال يشد عزائمهم ويذكرهم بثواب الشهيد:

عهد على الأيام ألاَّ تهزموا النصرُ ينبتُ حيث يرويه الدمُ
في حيثُ تعتَبِطُ الدماءُ فأيقِنُوا أَنْ سوفَ تَحْيَوُا بالدِّماءِ وتعْظُمُوا
تبغونَ الإستقلالَ تلكَ طريقةٌ ولقد أَخَذْتُم بالطريقِ فَيَمِّمُوا
وَهُوَ الجِهَادُ حَمِيَّةً جَيَّاشةً ما إنْ تَخَافُ مِنَ الرَّدى أو تُحْجِمُ
إنَّ الخلودَ لمن يُطِيقُ مُيَسَّرٌ فليمضِ طلابُ الخلودِ وَيُقْدِموا
وطنٌ يُقَسَّمُ للدخيلِ هديةً فعلامَ يُحجِمُ بَعْدَ هذا محجم
والشرقُ ويحَ الشرقِ تلكَ دماؤُه والغربُ ويحَ الغربِ يضربه الدمُ
وحشيَّةٌ كَشَفَ الزمانُ حِجابَها لا بل أَشَدَّ مِنَ الوحوش وأظلمُ
اليومَ قد شربوا الدِّماءَ وفي غدٍ فليندموا عنها ولاتَ المندمُ
مصر الشقيقةُ شيبُها وشَبَابُها تهفو إليكم بالقلوب وتعظمُ
في كلِّ مُطلّع وكلِّ ثنيةٍ نارٌ من الشرق الفتي سَتُضْرِمُ
والموتُ إنَّ الموتَ أشرفُ منهلا مما نسام به ومما نوسمُ[2]

---

(١) سيد قطب مفكر اسلامي معروف استشهر بدراساته الاسلامية وبتفسير الظلال أكثر مما استشهر بشعره وله عدد من القصائد هي من جيد الشعر مثل قصيدة (أخي) ولد في قرية (موشا) تابعة لمحافظة أسيوط في مصر ١٩٠٦م رأس تحرير مجلة (الأخوان المسلمون) حكم عليه الطغاة بالموت لاتهامه بمؤامرة مزعومة كان فيها الطغاة هم الخصم والحكم نفذ فيه الحكم شنقاً في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م.

ملخص عن «أحمد عبد اللطيف الجدع» ـ حين أدهم جرار ـ شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ـ جـ ٤ ـ سيد قطب ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٧٨م.

(٢) أحمد عبد اللطيف الجدع ـ حسني أدهم جرار ـ شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث جـ ٤ ص ٣٩ ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨.

وأما علي الجندي[1] الشاعر المصري فقد عالج قضية فلسطين بشكل عام متهماً أمريكا بالتواطؤ مع اليهود ضد العرب فقال في قصيدته «فلسطين الشهيدة ومحنة أبنائها» عام ١٩٤٥م ما يلي:

فلسطينُ حَزِنْتُ لَهَا ... وما أَدْراكَ ما حُزْني
أراها تحتَ أعيُنِنَا ... تباعُ بأبْخَسِ الثَمَنِ
تُسَامُ الذلَّ من صهيونَ (م) تُرْبَ الذلِّ والجبنِ
بغاثُ الطيرِ كيفَ سمتْ ... لِصَيْدِ النِّسرِ في الوَكَنِ
(تروماتٌ) ولم ينصفْ ... أَصَمٌّ بقولِهِ أُذُني
أساءَ الحكم فهو على ... الحكومةِ غيرُ مؤتَمَنِ
قَضَى لهمُ بِها وَطَناً ... قضاءَ الأَخْرَقِ الأَفِنِ
أُنزلُ دارنا التنيـ ... ـنَ مطوياً على الضَغَنِ
وأمريكا بما رَحُبَتْ ... تَضِنُّ عليه بالسكنِ
قضى الإنجيلُ والقرآ ... نُ أنْ يشقى مَدى الزمنِ
أرى حُرَّاسنا هَجَعُوا ... وعاثَ الليثُ في العَطَنِ
وأحزابُ تريدُ الحكم ... لولا الحكمُ لم تكنِ
وحكامٌ يخر لهم ... بغاة النفعِ للذقنِ
وأشياعٌ منافقةٌ ... تُشيعُ عواصِفَ الفِتنِ
ومحتلٌ يلاعِبُنَا ... لِعَابَ الموجِ للسفنِ
وجمهورٌ ضعيف الحو ... لِ واهي الأُسِّ والرُّكنِ
وموتى لا يميزهم ... عن الموتى سوى الكفنِ[2]

---

(١) الشاعر علي الجندي ولد في شندويل من أعمال سوهاج بمصر عام ١٩٠٠م عمل في التدريس كتب في الأدب عدة دواوين (أغاني السحر) و(ألحان الأصيل).

(٢) علي الجندي ـ أغاريد السحر ـ ص ٧ ـ دار الفكر العربي ـ مصر الطبعة الأولى.

أمَّا الشاعر عمر بهاء الدين الأميري[1] الذي عاش أحداث فلسطين عن كثب فقد كشف وعرّى نوايا لجنة التحقيق التي حكمت بتقسيم فلسطين فقال عام ١٩٤٦م:

يـا لُجْنَـةَ التحقيقِ ضَلَّلْتِ الـورى ... وَضَلَّلتِ عَمْـدَاً واقْتَـرَفْتِ أَثَـامـا
الـعـربُ أُمَّـة نجـدةٍ وبـطولـةٍ ... وعـزيمـةٍ فـوق السِمَـاكِ تسـامى
أَغْـضَبْـتِهـمْ وأَثـرْتِهـم فـتـرقـبـي ... حـربـاً تُجَـرِّعـكِ الحِمَـامَ زؤامـا
جـوري وزيدي في العُتُـو سفاهـةً ... وتـرقبي من بعـدِ ذاك سـلامـا[2]

أما الشاعر خالد الشواف[3] فقد عاش مع فلسطين يتابع أحداثها بترقب ويلقي شعره أمام الحشود والمؤتمرات شارحاً قضية فلسطين... فقال عام ١٩٤٥م:

هنا يا رفاقُ اخشعوا وارهبوا ... هنـا البلدُ القُـدُسُ الـطيبُ
هنا مَوْطِنُ المعجـزاتِ التي ... تَغَنَّى بهـا الشرقُ والمغـربُ
هنا مَذْبَحُ الأُضحياتِ التي ... إلى الخُلدِ سار بها موكبُ
هنـا سُقِيَ الأنبيـاءُ الكـرامُ ... فُيُوضاً من الوَحي لا يَنْضُبُ
هنـا وَطِئَتْ قَـدمـا أحمـدٍ ... وجبـريلُ أكـرمُ من يصحبُ
تَـحِـنُّ لـمعراجِـهِ مـكَّـةٌ ... وتـهـفـو لـمـهـبطِهِ يـثـربُ
هنا جالَ بين الصفوف صلاحٌ ... كما انتفضَ الأَسَدُ المغضبُ

(١) الشاعر عمر بهاء الأميري: ولد في حلب ـ سورية ـ درس الأدب في فرنسا ودرس الحقوق في الجامعة السورية ـ عمل في المحاماة وعمل في السلك الدبلوماسي في باكستان والمملكة العربية السعودية له دواوين عديدة (مع الله) و (ألوان طيف) و (أب) و (من وحي فلسطين).. وهو الآن يعمل في التدريس في المغرب العربي..

(٢) عمر بهاء الدين الأميري ـ من وحي فلسطين ـ ص ٢٣.

(٣) الشاعر خالد الشواف ولد في بغداد عام ١٩٢٤ ـ درس الحقوق وحمل شهادة الليسانس من جامعة بغداد ـ وهو شاعر الحشود. له ديوان (حداء وغناء) و (من لهيب الكفاح). عمل في المحاماة.

فيا عَجَبا كيف يُمسي اليهودُ وَمَشْـرَبهُم وِرْدُنَـا الأعـذَبُ
وقـال: لنـا أورشليمُ اليهـودُ وقال: بل الدرسُ لي يعربُ
فسالَ النَضَارُ وسـالَ النجيعُ ولا يخطىءُ الحقَّ مَنْ يَطْلُبُ[1]

وفي عام ١٩٤٧ عندما وافقت هيئة الأمم على مشروع التقسيم صب جام غضبه على المشروع وعلى أعداء العرب في قصيدته (الوليد المسخ) فقال:

لصوصَ الأرض ما عَقَرَ الصباحا قـرارٌ مَـدَّ دونَ الأرضِ راحـا
لقـد أعشى النضارُ لكم عيـوناً فلم ترَ في الضُّحَى الحقَ الصُراحا
ذئـابُ الليـلِ مـا بـاركْتُمـوهـا مُـغَلَّفَـةً أبـتْ إلا افْتِـضَـاحـا
فكـانَ وليـدُهـا التقسيمَ مِسْخاً وكـان الكـافلونَ لَـهُ وقـاحـا
سـنبـعثُـهـا مـخـضـبـةً تَـلَظّى لِتَكْبَحَ من خَيَـالِهِمُ الجمـاحـا
فيصبحُ مهدُهُ المـوعـودُ لحـداً ويصبح روضُه المـرموقُ سـاحا
أَمِنْتُمْ بـطشَـةَ الآسـادِ لمّـا رأيتمْ من خِـرافِكُمُ النـطاحـا
فقلتمْ دونكمْ وارْعَـوا فَمَـهْـلاً متى كـانتْ مَـآسِـدُنـا مَـرَاحـا
سكتنـا عَنْهُمُ أُنُـفـاً فقـالـوا لَقَدْ ألقتْ لنا العُـرْبُ السّلاحـا
أَلاَ بَلّغْ عبيـدَ العجـلِ عَنّـا بِـأَنَّ لنـا حِمَىً لَنْ يُسْتَبـاحـا
وأنـا بـائعـوا الأرواحِ بيـعـا وإنْ بِيعتْ بـذرتهم سمـاحـا
وَأَنّـا النـاهِـدونَ إلى المَعَـالِي وَإنْ عَبَسَتْ لَنَـا الدنيـا صَبَاحـا
وأن حِيـاضَنَا في الـدّسِ تأبى فمـا تُـطْفِي لِشُـذَّاذٍ لـواحـا[2]

ثم أتبعها بقصيدة أخرى في العام نفسه فقال:

بَشّري في تربكِ الغالي الجُدودا زَمْجَـرَ الغـابُ لبـاءً وأسـودا

(١) خالد الشواف ـ من لهيب الكفاح ـ ص ٦ ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ـ ١٩٥٨م.
(٢) السابق ص ٩.

هـذه الأحقـاد في أعـراقنـا ... أَفْعَمَتهـا شِـرَّةُ الغـربِ وقـودا
فـتـلظتْ جِـمَماً وانـفـجـرتْ ... صـاعقـاتٍ لا بـروقـاً ورعـودا
قبلةُ الـمجـدِ غـدا يـعـرفنـا ... حـرمُ البيتِ ركـوعـاً وسجـودا
كـلمـا كَـبَّـرَ فـيـه مؤمـن ... ذَكَـرتْ أرجـاؤُهُ الفتـحَ التليـدا
كـلمـا صـال عليـهـا بَـطَلٌ ... هتفتْ إنَّ صـلاحـاً قـد أعـيـدا
شـرفاً يـا مـوطنَ المجـدِ غـدا ... نـزحَمُ الأفْقَ رجـالاً وحـديـدا
قـد بعثناها كمـا شئتِ لـظىً ... ستحيلُ الحَدَثَ المشؤوم عيـدا
تجعـلُ التقسيمَ في أجسـادهمْ ... لا على الأرضِ خطوطاً وحدودا
إيـه يـا غـربُ لقـد علمتَنـا ... كيفَ نَلقَى الشرَّ إنْ شرٌ أريـدا
نحن حتى أمسِ كنـا نُـوَّمـاً ... ثم كشـرت فَنَهْنَهْتِ الـرقـودا
يـا لـهـا مَهْـزَلَـةُ إيـمـانُنَـا ... بضميـرٍ ما رأى بعـدُ الـوجـودا
مَـثَّلَتْـهـا هيئـةُ البَغْـيِ فمـا ... أَحْكَمَ التلقينَ فـانثـال شـديـدا
(يـا لجنبـولَ) الـذي أَخْـرَجَهـا ... وانْتَحى عن مَسْرَحِ الظلمِ بعيدا[1]
يـا لَـهُ من خـاتِـلٍ مُسْتَلْئِمٍ ... نَسِيَ الـوعدَ ولم ينسَ الـوعيدا
العهـود الكُثْـرُ لَـنْ نَـطْلُبُهَـا ... خابَ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ نَذْلٍ عهودا[2]

وكان جريئاً فنقد الجامعة العربية في وقت مبكر حيث كانت تتمتع بالمدح والتأييد من قبل كثير من الشعـراء.. فقال يصف حـالتها في أوائـل عام ١٩٤٨ م...

وفـودٌ تـطيـرُ وقـولٌ يـقـال ... سَئِمنَـا الكـلامَ فَـأَيْنَ الفِعَـالْ
وأنتمْ كفـاكمْ خِـداعـاً لـنـا ... فقـد أدركَ الصـابـرينَ المَـلال
أفي كـلِّ يـومٍ لكمْ مَحْفَـلٌ ... تُـقَـدِّمُـهُ سـهـرةٌ واحـتـفـال

(١) السابق ص ٩.
(٢) جنبول: يراد بها بريطانيا.

وينفضّ عن ثروةٍ في الوعودِ ... وعنْ أمنياتٍ عراضٍ طوال
وحتى مَ يُدْرَسُ أمرُ الحمى ... ملياً ويُعْرَضُ كلُّ احتمال
أفي أمره يُذْمَمُ الإرتجال ... وكلُّ الذي تعلمونَ ارتجال
أما فيكمو مخطىءٌ واحدٌ ... يشير عليكمْ بِأَمْرِ النضال
فلسطينُ باتَتْ بأيدي اليهود ... فماذا انتظاركمُ للقتال
تهاوى بَنُوها وَخَرَّ الشيوخُ ... وَأَطْفَالُها وُطِئَتْ بالنعال
أما فيكمو نخوةٌ تستثارُ ... لما لقيتْهُ ذواتُ الحجال
أما هَزَّكُمْ سوءُ هذا المصير ... فقد هَزَّ واللهِ حتى الجبال
فلسطينُ إنْ لم تُحَرِرْ فإنَّ ... مناصِبُكم عرضةٌ للزوال
فإنَّ ليالي الشعوبِ حُبالى ... وسوفَ يَلِدْنَ الدواهي الثقال[1]

وقال بدر الدين الحامد ينتقد هيئة الأمم بأسلوب لاذع بعد أن أصدرت قرار التقسيم:

قالوا نَصَبْنَا بُعَيدَ السلم هيئتنا ... للسلم فالشرُ بعدَ اليومِ منحَسِمُ
ما بالُهمْ جَعَلُونا طُعمةً لهمُ ... أينَ السلامُ وأينَ العهدُ والذِمَمُ
أَمِنْ سلامِهِمُ حربٌ يؤجِجُهَا ... حُكْمٌ قواعِدُهُ الأشلاء والرمَمُ
يا هيئةَ الأممِ الدنيا لها عِبَرٌ ... وما عَقَدْتِ على الأيام مُنْفَصِمُ
دارُ النبيينَ عينُ الله تَحْفَظُهَا ... مِنْ كُلِّ سوءٍ فما تَبْنينَ مُنْهَدِمُ
للعُرْبِ ليستْ لنؤبانِ الوَرَى وَطَنا ... إنْ يَفْرَحُوا فَقَريبٌ مِنْهُمُ النَّدَمُ[2]

ومن الجزائر انطلق صوت الشاعر محمد العيد خليفة مطمئناً فلسطين عام ١٩٤٧ م وحاثا لها على الصمود فقال:

---

(١) السابق ص ١٣.

(٢) بدر الدين الحامد شاعر العاصي ـ جـ ٢ ص ٦٦٦ ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٥م.

فلسطينُ العزيزةُ لا تُراعي ... فعين الله راصِدةٌ تراعى
وحولَكِ من بني عدنانَ جُنْدٌ ... شديدُ البأسِ تَزْأَرُ كالسباع
إذا استصْرَخْتِهِ للحربِ لَبَّى ... وَخَفَّ إليكِ من كلِّ البقاعِ
يجودُ بكلِّ مُرتَخَصٍ وغالٍ ... لِيَدْفَعَ عنكِ غاراتِ الضِباع
بُلِيتِ بهم صهاينةً جياعاً ... فَسُحقاً للصهاينةِ الجياع
سَتَكْشِفُ عَنْهُمُ الهيجاءُ سَتْراً ... وترميهمْ بكلِّ فَتَى شُجَاع
وكيفَ يُصَادِفُ العبري نَجْحَاً ... وما أَخْلاقُهُ غيرُ الخِداع
قد اغْتَرَّ اليهودُ بما أَصَابُوا ... بأرضِ القُدسِ من بعضِ القلاع
مَتَى كانَ اليهودُ جنودَ حَرْبٍ ... أَكِفَّاءَ الأعارِب في الصراع
فلسطينُ العزيزةُ لا تَخَافي ... فَإِنَّ العُرْبَ هَبَّوا لِلدِفاع
بجيشٍ مُظْلِمٍ كالليل غَطَّى ... حَيَالِكَ كُلَّ سَهْلٍ أَوْ بِقَاع
وما أَسْيَافُهُ إلا نُجومٌ ... رُجومٌ لليهودِ بلا نزاع
يرابِطُ في ثغورك مُستَعِدَّاً ... على الأُهْبَاتِ للأمرِ المطاع[1]

كما انطلق أيضاً صوتُ الشاعر أحمد سحنون[2] منددا بالتقسيم فقال:

أَمَوطِىءَ أقدامِ النبيينَ والرسُلِ ... وَمَوْطِنَ نَسلِ الوحيِ بُورِكَ من نسلِ
فِدَاكِ العِدَى لا تَقْبَلي قِسْمَةَ العِدى ... وللموتِ سيري ولا تَبيتي على ذُلِّ
ولا تَحْفَلي بالناسِ إنْ جارَ حُكْمُهُمْ ... عليكِ فإنَّ اللهَ يحكُمُ بالعدْلِ
وخلفَكِ جيشٌ مِنْ بني العربِ رابِضٌ ... لِيُبْعِدَ عن أرضِ الهُدَى عابدي العجل
لقد جَدَّ جِدُّ العُربِ فاقْتَحِموا الوَغَى ... ولا تَدْفَعُوا جِدَّ الحوادِثِ بالهزل
ويا أغْنياءَ المسلمينَ تَسَابَقُوا ... إلى البذْلِ والإيثارِ ذي ساعةُ البذل

(١) عبد الله ركيبي ـ قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ـ ص ٦١ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ ١٩٧٠م.

(٢) الشاعر أحمد سحنون: من شعراء الجزائر المشهورين الذين ساهموا بشعرهم في ثورة الجزائر.

ويـا شُعَراءَ الضـادِ حُثُّوا شعـوبَكم بشعرٍ يُداويهـا من الجُبنِ والبُخْلِ
فمـا الشعـرُ إلا ثـورةٌ غيـر أنَّهـا تصولُ بلا كفٍ وتسعى بلا رِجل[1]

وأما الشاعر محمد المجذوب[2] فقد دعا في أوائل عام ١٩٤٨ إلى نجدة فلسطين وطرد الغزاة منها فقال:

وتعالى النداءُ مِنْ جانبِ القد س جريحاً مُجَلْجَلَ الأصداءِ
يستَثِيرُ الأُباةَ للنجـدةِ البِكرِ فتسـري انتفـاضـةُ الانْتخـاءِ
وإذا العزُّ مِنْ سُلالَةِ قحطانَ سيـولُ من الليوثِ الـظمـاءِ
أقسموا لن تَنامَ في غمدِها الأ سيافُ إلا بالنصرِ أو بالفنـاءِ
وَمَضَوا يَغْسِلُونَ مِنْ رِجْسِ صهـ ـيونَ مقامَ المسيحِ والإسراءِ
إن يخنْ ذمةَ المسيحِ «ترومانُ» ففي يعـربٍ مَنـاطُ الـوَفـاءِ
فَسَلُوا عُصْبَةَ ابنِ غريونَ هل أبقى.. لها الروعُ مُسْكَةً مِنْ رَجَاءِ
قـد حـطمنـا مُنَـاهم وَأَحَلنَـا كلَّ تلك الأحلامِ محضَ هباءِ
وسيـدري غـداً ستـالين أنّـا أمـةٌ فوق مَـطْمَـحِ الأهـواءِ
نُـرخِصُ الأنفس الغوالي على السيفِ وَنَـأْبَى مَـذَلَّـةَ الجبنـاءِ
ويل صهيونَ مِنْ كَتَائِبِنَا الخُضْرِ إذا الثـأْرُ هَـزَّهـا للعـلاءِ[3]

وأما الشاعر برهان الدين العبوشي فقد عاش على مسرح الأحداث في فلسطين وتابع بدقة ما يجري فيها واشترك بالجهاد فكان فارس اللسان والسنان فقال في أوائل ١٩٤٨ م بعد أن شهد بوادر الهجرة والنزوح:

---

(١) السابق ص ٦٣.

(٢) الشاعر محمد المجذوب ولد في مدينة طرطوس ـ سورية ـ ١٩٠٧م اهتم بالعلوم الدينية لذلك يعمل الآن مدرساً في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة له مؤلفات متنوعة منها في الشعر ومنها في القصة ومنها في الدراسات الاسلامية ـ له ديوان (همسات قلب) و (نار ونور).

(٣) محمد المجذوب همسات قلب ـ ص ١٤٠ ـ دار العربية للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى عام ١٩٧٠م.

قَدْ شَرَّدُوا العربيَ عَنْ أوطانِه ... قد جَرّدوا العربيَ مِنْ أثوابه
لهفي على الليثِ المهدَدِ غابُهُ ... ما كان أَجْدَرُ لو يموتُ بِغابِهِ
والحرُّ يَدْفَعُ عن حِماهُ بسيفِهِ ... فإذا تَحَطَّمَ سيفُهُ فبنابه
فلنمش للموتِ الزؤامِ كما مَشى ... جيشُ النبي بشيبه وشبابه
لم تسمع الدنيا بمثل مصابِنَا ... ومصابُ هذا الشعبُ من أنصابِه
فإذا تَمَلْمَلَ للخلاصِ رَأَيْتَهمْ ... رَفَعُوا سيوفَ البطشِ فوق رِقابه
بلغَ الأَسَى والحِقْدُ فينا مَبْلَغاً ... قد كادَ يَخْرُجُ عَنْ حدودِ نِصابِه
فَلَعَلَّ هذا الحقدَ يُضْرِمُ نخوةً ... في جيلنا وَيَهُزُّ مِنْ أعصابه
فَيَهُبُّ كالمجنونِ يَدْفَعُ غارةً ... تَجْتَاحُهُ في سَهْلِهِ وشِعَابِهِ[1]

أما الشاعر محمود سليم الحوت[2] فقد صب غضبه على الغرب سبب البلاء فقال عام ١٩٤٧ :

وَهَبَّ شَعْبٌ على صيحاتِ صَخْرَتِهِ ... يَسْتَلُّ مِنْ غدِ بابِ اللهِ ممتَشَقَا
وراحَ يُضْرِمُهَا حَرْباً مُقَدَّسَةً ... شرقيةً بضميرِ الغربِ لَنْ تَثِقَا
كَمْ حَدَّثُونا عن العَدْلِ المَقِيتِ وَكَمْ ... كَانَتْ لهمْ حَلَبَاتُ الظلمِ مُسْتَبَقَا
لَنْ نَسْتَقِرَّ ولَنْ تَهدا مَراجِلُنَا ... والحقُ في عالمِ الأطماعِ قد خُنِقَا
سَيْعلَمُونَ وفي التاريخِ مَوْعِظَةٌ ... كَيْفَ اسْتَمَدُّوا مِنَ التقطيعِ مُتَّفَقَا[3]

---

(١) د. ناصر الدين الأسد ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ـ ص ١٠٢ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية.

(٢) محمود سليم الحوت: ولد في يافا ـ فلسطين عام ١٩١٧ درس في الجامعة الأمريكية ببيروت ـ عمل في إذاعة القدس وكذلك عمل في التدريس بالعراق ـ هاجر بعد النكبة إلى الولايات المتحدة له ملحمة شعرية (المهزلة العربية) وديوان (اللهب الكافر)..

(٣) السابق ص ٢٤٦.

أما منير البرعصي[1] فقد ندد بالرئيس ترومان الذي ناصر اليهود. . فقال:

كيفَ ذاكَ الرئيسُ في بيتِه الأبيضِ يُـمْـلِي مُـقَـدَّراتِ الـعِـبـادِ
بـاعَ هـذي البـلادَ بـالثَّمَنِ البخسِ وَسَـامَ الكـرامُ سَـوْمَ الكسـادِ
إنّ بـيـتـاً يَـقِـرُّ فـيـهِ دَمَـاراً أبيضَ الـرمـزِ لَهْـوَ بيتُ السوادِ
خابَ فَأْلُ الرئيسِ فالعَرَبُ الأمجا دُ أدرى بجـرحهـم والضـمـاد[2]

وقال أحمد الفقيه حسن من ليبيا[3]:

سياسـةُ الـدولِ الكبـرى تُمَنّينـا وبـالـدعـايـةِ والتضليـلِ تُغْـرينـا
داستْ كرامةَ أهلِ العربِ سَاسَتُها من بعدِ ما قَسَّموا ظلماً فلسطينا
قضت وما عَدَلَتْ في الحُكْمِ إذ حَكَمَتْ غدراً ولم تُنْصِفِ العربَ الميامينا
ليست فلسـطينُ داراً لليهـود ولم تخضعْ لحكمِ الطغاةِ المستبدينا[4]

أما فؤاد الخطيب فقد كانت له صرخات مدوية في مناصرة فلسطين حيث بدأ شعره الفلسطيني في الثلاثينيات. وعندما أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين قال لهم:

لقـد رَحَلْتُمْ فكنتمْ عِلَّةً ذهبتْ وما تزحزحَ من آفاتها الوَجَعُ
وهلل المسجد الأقصى فلا نذرٌ تترى ولا وَجْهُهُ الوَضَّاحُ يَمْتَقِعُ
ولا تَزَعْزَعَ مِنْ مهدِ المسيحِ لكمْ رُكْنٌ ولا نَكَّسَتْ أَعْلَامَهَا البِيَعُ
بِنْتُم فما شَيَّعَتْكُمْ دمعةٌ هَطَلتْ ولا تَعَطَّلَتِ الآحادُ والجُمَعُ

(١) الشاعر منير البرعصي: ولد بصفد ـ فلسطين ـ عام ١٩١١ وأصله من أسرة ليبية من برقة. . عمل في فلسطين بسلك الشرطة شارك في الجهاد وأسر ثم أفرج عنه عام ١٩٤٩ فعاد إلى برقة بليبيا.
(٢) محمد الصادق عفيفي ـ الشعر والشعراء في ليبيا ـ ص ١٢٠ ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٥٧م.
(٣) الشاعر أحمد الفقيه حسن: ولد بمدينة طرابلس الغرب عام ١٣١٢ درس في مدارس ليبيا ثم رحل إلى مصر ودرس فيها علوم العربية. له ديوان باسمه ـ ينتمي بنسبة إلى أسرة بالحجاز. .
(٤) السابق ص ١٢١.

إنَّ الثلاثينَ عاماً مِنْ وِصَايَتِكُمْ ... كاللُّغْزِ تُومِضُ مِنْ أَثْنَائِهِ اللُّمَعُ
فالعُرْبُ عزْلٌ وما كانتْ صوارِمُكمْ ... يوماً بغيرِ دماءِ العُزْلِ تَقْتَنِعُ
ولليهودِ كما شئْتُم مصانِعُهمْ ... من السلاحِ ومنكمْ عِنْدَها الصُنُعُ
أحيتْ فلسطينُ عِندَ العربِ وَحْدَتَهُمْ ... ففي فلسطينَ شملُ العُرْبِ مُجْتَمِعُ[1]

وقال في أوائل عام ١٩٤٨ يهيب بنصرة فلسطين..

ماذا الجمودُ وجرعاءُ الديارِ دمُ ... الحربُ الموتُ أينَ السيفُ والقلمُ
فالصوتُ يَهْتِفُ تُلوَ الصوتِ مِنْ أَلَمٍ ... أينَ الأحبةُ والإخوانُ أينَ هُمُ؟
أوْدَتْ فلسطينُ إلا هِمَّةٌ شَمَخَتْ ... فَكَيْفَ تَعْقِدُ عَنْ تأييدِها الهِمَمُ
هي الوحيدةُ إلا مِنْ عَزِيمَتِها ... وَبالعَزِيمَةِ بَعْدَ اللهِ تَعْتَصِمُ
للهِ دَرُّ فلسطينَ التي انْجَرَدَتْ ... إلى الجهادِ فثارَ البأسُ يحتَدِمُ
تَنَمَّرتْ عند بابِ الليثِ مُقْدِمَةً ... عليه لا الغابُ تُثْنِيها ولا الأَجَمُ
وفتيةٍ هَمُّهُمْ طولُ النِزالِ على ... شُمِّ الجبالِ لَهُمْ أَمْثالُهَا شَمَمُ
ما كَبَّروا اللهَ حتى كُلُّ ناحيةٍ ... ردت وَرَجَّعَ في تكبيرِها النَغَمُ
فيا خطوبُ اعصِفي ما شِئْتِ طاغيةً ... إني فلسطينُ إني لستُ أنهَزِمُ
وأينَ يا آلَ إسرائيلَ موئِلُكمْ ... مِنْ وثبةٍ بشواظِ الغيظِ تَضْطَرِمُ
ليست فلسطينُ بالمأوى المباحِ لكمْ ... ولا التي هي في الأسلوب تُقْتَسَمُ
ليستْ تدرُ لكمْ شهداً ولا لَبَنا ... هنا الحُماة هنا البركانُ والحِمَمُ
وما سمعتُ بجانٍ سارقٍ وطناً ... من قبل بلفورَ لم تعلق به التُهَمُ
وأكبر الخزي وعدٌ منه في يَدِهِمْ ... يزدادُ عنه وفيه الناسُ تختصِمُ
فلا رعى اللهُ ما في الغَرْبِ من جَشَعٍ ... فالمال فيه هو المعبودُ والصنم

(١) فؤاد الخطيب ـ ديوان الخطيب ـ ص ٣٦١ ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٥٩م.

وكم جيـوبٍ تُعَـدُّ اليـوم وارثـةً  لجيبِ بلفـورَ تُـرضيكمْ وتَسْتَلِمُ[1]

أما عبد الرحيم محمود فقد دعا إلى الجهاد وقرن القول بالعمل حيث انضم إلى المجاهدين فقال في ذلك:

دعا الوطنُ الذبيحُ إلى الجهـادِ  فـطارَ لفـرطِ فـرحتِـهِ فؤادي
وسـابقتُ النسيمَ ولا افـتخـارٌ  أليسَ عليَّ أنْ أفـدي بـلادي
حملتُ على يدي روحي وقلبي  ومـا حـمّلتهـا إلا عـتـادي
وقلتُ لمن يخـافُ مِنَ المنايـا  أتَفْـرَقُ من مجـابَهَـةِ الأعـادي
فَـدَوْتُكَ خـدرَ أمّـكَ فـاقتحِمْـهُ  وحسبُـكَ خـسةٌ هـذا التهـادي
فـللأوطـانِ أجـنـادٌ شـدادُ  يَـكِـيـلونَ الـدمـاءَ لأيِّ عـادِ
يُـلاقـونَ الصعـابَ ولا تَشَـاكي  أُشَـاوس في ميـادينِ الجِـلاد
تراهمْ في الوغى أُسداً غضابـا  مَعَـاويـناً إذا نـادى المنـادي
بَني وطني دَنَـا يـومُ الضَحَـايـا  أَغَـرُّ على رُبَـا أرضِ المعـادِ
فَمَنْ كَبْشُ الفداءِ سوى شبابٍ  أبيٍّ لا يُقِيمُ عـلى اضـطهـادِ
وَمَنْ للحربِ إنْ هاجَتْ لَظَاها  وَمَـنْ إلاكـمُ قَـدْحُ الـزنـادِ
فسيـروا للنضـالِ الحقِ نـاراً  تَعُبُّ على العِـدى في كل وادِ
فليسَ أَحَطَّ مِنْ شـعبٍ قـعيـدٍ  عنِ الجُلّى ومـوطِنُـه ينـادي
إذا ضـاعتْ فلسـطيـنٌ وأنتـمْ  على قيدِ الحياةِ ففي اعتقـادي
بـأنَّ بني عُـرُوبَتِنَـا استكـانـوا  وأخـطأَ سَعْيُهم نهجَ الـرشادِ[2]

(١) السابق ص ٣٥٩.
(٢) عارف العارف ـ النكبة والفردوس المفقود ـ جـ ٣ ـ ص ٦٢٥ ـ المكتبة العصرية ببيروت ـ ١٩٥٦م.

ومن السودان انطلق صوت الشاعر مصطفى عوض الكريم[1] فقد قال عام ١٩٤٧:

لَهفي على الشرقِ الحبيبِ وموطنِ ... السحرِ العجيبِ غدا بَنُوهُ أُسَارى
وسروا بحالكةِ الدروبِ وقبلَها ... كانوا لكلِّ العالمينَ مَنَارا
واستسلموا للأجنبيِّ وجانَبُوا ... سُنَنَ النبيِّ وَخَالَفُوا الجَبَّارا
ذَكِّرْ فإنَّ جُدودَهمْ كانوا ... يُريقونَ الدماءَ فيشنأون العارا
وارجعْ إلى عهد النبوةِ قلْ لهم ... قوموا خذوا مِمَّنْ تَعَدَّى الثارا
قومي فلسطينَ الحبيبةَ واطردي ... عنك الدخيلَ وبادليه النارا
وَدَعي الأَسَى للعاجزينَ وَأَشْهِري ... حَدَّ السلاحِ لِمَنْ يخونُ الجارا[2]

## الشعراء يهيئون للمعركة

وعندما اقترب يوم ١٥ أيار من عام ١٩٤٨ م.. وهو يوم التدخل العربي لاستنقاذ فلسطين.. أدى الشعراء واجبهم في البلاغ والإعلام واستنفروا همم الجيوش والمجاهدين وبشروهم بثواب المجاهدين وحذروهم من الفرار وتولية الأدبار للعدو..

فقال الشاعر محمد الأسمر[3] مخاطباً جيش مصر الزاحف:

يا وارثَ المجدِ عن آبائِكَ القِدَمِ ... أدركْ بأرضِ فلسطينٍ ذَوي رَحِمِ
نادَتْكَ فالتَفَتَ الماضي إليكَ فَسِرْ ... نَحْوَ الأَمَامِ وَأَنْقِذْ ثالِثَ الحرم
اليومَ يَومُكَ فاصنعْ مثلَ ما صَنَعَتْ ... بالظالمينَ جيوشُ النِيلِ في القِدم

---

(١) الشاعر مصطفى عوض الكريم ابن الشيخ عوض الكريم ابراهيم ولد في دلقو من كبريات قرى المديرية الشمالية بالسودان عام ١٩٢٣ ـ نال الدكتوراه في الآداب من جامعة لندن عام ١٩٥٩ ـ له ديوان باسم (السفير) ـ توفي عام ١٩٦٢م.

(٢) د. مصطفى عوض الكريم ـ ديوان السفير ـ ص ١٤٩ ـ الدار السودانية ـ ١٩٧٢م.

(٣) محمد الأسمر ـ ديوان الأسمر ـ ص ١٩٥ ـ دار الفكر العربي ـ شركة فن الطباعة.

وادْخُل على الظالِمِ الباغي كما دَخَلتْ ... أسودُ غابٍ على من عاثَ بالأَجَم
وإن بدا في حصون المالِ معتصِماً ... فانهض إليه ولذ بالله واعتصم
وابطشْ به البطشةَ الكبرى تُؤَدِّبُه ... بها وكفَّ عن الأطفال والحرم
فنحن من أمة ليست وإن غَضِبتْ ... يوماً بناسيةِ للعدلِ والكرم
سهامُنَا من قديمٍ غيرُ ظالمةٍ ... أَنَّى رَمَينا بها أَصْمَتْ ولَمْ تَصِم[1]

كما أن الشاعر محمود غنيم[2] وجه رسالة شعرية يهيب بالقادة سلوك طريق الجهاد وترك الكلام جانباً فقال:

قلنا وأصغى السامعونَ طويلا ... خلوا المنابرَ للسيوفِ قليلا
سقنا الأدلةَ كالصباحِ لهم فما ... أغنت عن الحق الصُراحِ فتيلا
مَنْ يستدلُ على الحقوقِ فلنْ يرى ... مثل الحسامِ على الحقوقِ دليلا
إنْ صمّت الآذانُ لم تسمعْ سوى ... قصفَ المدافعِ منطقاً معقولا
لغةُ الخصومِ مِنَ الرجوم حروفُها ... فليقرأوا فيها الغداةَ فصولا
لما أَبَوا أنْ يفهموا إلا بها ... رحنا نُرتّلها لهم ترتيلا
أدت رسالَتَها المنابرُ وانبرى ... حدُّ السلاح بدوره ليقولا
ولقد بحثتُ عن السلامِ فلم أجدْ ... كإراقة الدمِ بالسلام كفيلا[3]

وقال فؤاد الخطيب بهذه المناسبة قصيدة بعنوان صدق اللقاء وكاذب الرياء بمناسبة الجيش الزاحف ١٩٤٨ م..

---

(١) محمد الأسمر ـ ديوان الأسمر ـ ص ١٩٥ ـ دار الفكر العربي ـ شركة فن الطباعة.

(٢) الشاعر محمود غنيم: ولد في قرية مليج من محافظة المنوفية في مصر في عام ١٩٠٢م ـ درس في المعاهد الدينية ثم تخرج من دار العلوم ـ عمل في التدريس ثم عميداً للغة العربية في وزارة التربية وكان عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ـ له دواوين (في ظلال الثورة) و (صرخة في واد) ـ توفي عام ١٩٧٢م.

(٣) أحمد عبد اللطيف الجدع ـ حسني أدهم جرار ـ شعراء الدعوة الاسلامية في العصر ـ جـ ٢ ص ٥٨ ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

هي الحربُ فانظرْ ومض هذي البوارقِ ... وكيف يموجُ الجيشُ تحت البيارقِ
فيا أمةَ العُرْب انهضي اليومَ للعدىَ ... فيالقُ تطوي الأرضَ إثرَ فيالقِ
وإنَّ علينا أن نُريق دماءَهم ... ونغرقهم في موجها المتلاحقِ
ونحن خُلقنا للجهادِ وإننا ... نشق إليه النقع تحت الصواعق
إذا امتلأت منه النفوسُ عقيدةً ... مشت تتحدى الدهرَ مَشْيةَ واثقِ
وتصرخُ أينَ الأرضُ ندفَنُ تحتها ... ألا دافنٌ يحثو الثرى فوق زاهقِ
ونوحُ اليتامى والأراملِ حولها ... يضج ما استثنى خدور العواتقِ
وكم نطقتْ ديرُ ياسينَ صيحةً ... تَضَعْضَعَ فيها مُفْحَماً كلُّ ناطقِ
كدمدمةِ الزلزال أرعدَ صوَّتَتْ ... بها الريحُ تتلو الريحَ في جُنح غاسقِ
وكيف لَعَمْري تُخْلِصُ القولَ عصبةٌ ... مزورةُ الأنسابِ شتى المعارقِ
ملفقةٌ من كلِّ شرقٍ ومَغْرِبٍ ... مفتقةٌ أعيتْ على كلِّ راتقِ[1]

أما الشاعر عمر بهاء الأميري فقد لبى نداء الجهاد قولاً وعملاً فقال:

يا فلسطينُ يا تراثَ النبوةْ ... يا لسانَ المجدِ الأثيلِ المُفَوَّهْ
لا يُضِرْكِ العُدوانُ مهما تَمادى ... إنَّ هذا العدوانَ مبعثُ قوةْ
أمةَ العربِ في ركابك هبَّتْ ... تُلقِمُ العاتي الزنيمَ عُتُوّهْ
والأباةُ الكماةُ تهتز ثأراً ... كلما مَعْرَجُ الرسول تأوهْ
فافقئي البغيَ في عيونِ ذوية ... سوف يحميك يعربيُّ المروة[2]

ووجه الشاعر محمد مصطفى الماحي[3] رسالة إلى ولده المحارب مع جيش

(١) فؤاد الخطيب ـ ديوان الخطيب ـ ص ٣٧٩ ـ دار المعارف بمصر ـ طبعة أولى ـ ١٩٥٩م.
(٢) عمر بهاء الدين الأميري ـ من وحي فلسطين ـ ص ٤٣ ـ دار الفتح ـ بيروت.
(٣) الشاعر محمد مصطفى الماحي ـ ولد في دمياط ـ مصر ـ ١٨٩٥ عمل في وزارة الأوقاف وله ديوان كبير باسم (ديوان الماحي).

مصر الذاهب إلى فلسطين وهي رسالة إلى كل جندي مسلم يحارب في سبيل الله فقال:

المجدُ ما تكسِب الهنديةُ القضبُ ... والجودُ ما تَهَبُ الأرواحُ لا القُرَبُ
فاطلبْ فديتُكَ مجداً لا كِفاءَ له ... «تهون» في مثله الأرزاءُ والنُوَبُ
باتت فلسطينُ مهدَ الدينِ من قِدمٍ ... يسودُها الظلمُ والإفسادُ والشغبُ
وحسبُها شرفاً تقديسُ ساحتها ... كما تنزلتِ الآياتُ والكُتُبُ
فاحفظ عروبَتَها وانصرْ قضيتَها ... فكم فَدَتْها بما اعتزتْ به العربُ
إنَّ اليهودَ طغوا في الأرضِ وانتهكوا ... ما حرّم اللهُ واستهواهُمُ الذَهَبُ
وساند الغربُ ما جَدّوا له فمضوا ... في كيدهم قُدُما لم يعيهم طلبُ
إني نَذَرْتُكَ للرحمنِ فامضِ على ... مشيئةِ الله لا وَهْنٌ ولا رَهَبُ
وابذلْ حياتَكَ دون الحق غالية ... يوهب لك الحق والتأييد والغلبُ[1]

وقال خضر الطائي[2]:

يا ربيعَ الجهادِ حدثْ عن الإيمان (م) وابعثْ فينا العزائِمَ نارا
يا ربيع الكفاحِ خلدْ أمانينا (م) وكللْ هامَ البطولاتِ غارا
يا ربيعَ الإسلامِ حيِّ الميادينَ ... وحيِّ البواسل الثوارا
قم على مَفْرِقِ الجديدينِ واشهدْ ... أمةَ العُربِ كيفَ تحمي الديارا
وانظر البغيَ جارَ عليها ... وانظر الحقَّ معجَباً كيف ثارا
وحَماةٌ مشت لإنقاذ أرض ... حكم الأجنبي فيها وجارا

(١) محمد مصطفى الماحي ـ ديوان الماحي ـ ص ٢٩ ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٦٨م.
(٢) الشاعر خضر الطائي: ولد في بغداد ـ العراق ـ عام ١٩٠٨م تعلم على المشايخ ثم انتسب إلى جامعة آل البيت ثم تخرج منها عمل في التدريس ـ له عدة مسرحيات منها (أهل الكهف والرقيم).

أمطروا الموتَ فوق تل أبيبَ سابقاً في فنائِها الأعمارا
لا تخافوا من مجلسِ الأمنِ وعداً أو وعيداً ولا تُبالوا ضرارا
مجلسُ الأمن قامَ للخداعِ وللكذ ب ويُرخي على الجناةِ ستارا
أيُّ يوم أدانَ صهيونَ في إجرامه دون أن يُقيل العثارا
إنَّ للعربِ ذمةً خَفَرتها ذممٌ تجعل الخداعَ شعارا
صَفَقَتْ هامَهمْ يدٌ صافحتهم قَطَعَ اللهُ كفّها الغدّارا
وتناست وعودَها يوم كانت لا ترى غيرَهم لها أنصارا[1]

وقال الشاعر منير الذويب[2] في قصيدته (الشهيد الأول) يشجع على الإستمرار في الحرب وعدم الخوف والإستسلام:

أنا لم أزلْ حياً أشارككم فما هذي الدموعْ
وعلامَ هذا الحزن قد ضمّتهُ نائحةٌ ضلوعْ
ولم السوادُ لم الوجومُ لم البخورُ لم الشموعْ
أنا مثلكم لا ينثني عزمي فيطويني الخنوعْ
أنا لم أزل حياً أجاهد والجهادُ عليَّ حقُ
حتى أرى أعناقَ صهيونٍ بِرِمَّتها تدقُ
وأرى بلادي ليس فيها من بني صهيونَ عرقُ
أنا لم أزل حياً فلا ألم بجسمي من جراحي
إيمان قلبي والوفاء لأمتي أمضى سلاح

(١) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٩ ـ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٩م.

(٢) الشاعر منير الذويب: ولد في بغداد عام ١٩٢٢م وجده الشيخ محمد كامل الذويب من علماء بغداد وفقهائها ـ عمل في الاذاعة العراقية ـ نال شهادة الحقوق وزاول مهنة المحاماة..

ومؤذن النصر المبين يقول حي على الفلاح[1]

أما الشاعر عبد الرحيم محمود فقد وضح سبب الحرب وأهدافها فقال:

نحن لم نحملِ السيوفَ لهدرِ ... بل لإحقاقِ ضائعٍ مهدورِ
نحنُ لم نَرْفَعِ المشاعِلَ للحرقِ ... ولكنْ للهَدْيِ والتنويرِ
نحن لَمْ نَطْعَنِ الضَميرَ ولكنْ ... بِقَنَانا احْتَمى طعينُ الضميرِ
كانَ فينا نصرُ الضعيفِ المُعَنَّى ... وانجبارُ المحطّمِ المكسورِ
أمتي إن تجرؤْ عليك الزعاماتُ ... فلا تَيْأَسي ذَريها وسيري
القديمُ الجميلُ ريش جناحيكِ ... فرفرفي في العالمينَ وطيري[2]

## الهزيمة وأثرها في نفوس الشعراء

وبعد هذه الشحنة القوية والدفعة الصادقة من أجل الجهاد وطرد المعتدين واستنقاذ فلسطين من قوى الشر اليهودية لم يصدق الشعراء ما حصل لفلسطين بل كادوا يكذبون الأخبار التي تحمل أنباء الهزائم المصطنعة لولا أن بعضهم كان شاهداً يروي ما حدث وما جرى وهكذا تحول الحماس إلى رثاء. . رثاء فلسطين وشعب فلسطين فتحول الشعر إلى شعر النكبة والمشردين واللاجئين وبكاء أطلال فلسطين ومع ذلك لم ينس الشعراء المسلمون أسباب النكبة فشخصوا الداء ووصفوا الدواء منطلقين بذلك من منطلق إسلامي أصيل. .

فقال عمر بهاء الدين الأميري:

العذارى والحاملاتُ اشتهينَ الموتَ ... حتى يَدْرأنَ فيه الأثاما
والشيوخُ الفانونَ عضّوا بقايا ... من جراحِ الجهادِ هاجَتْ ضِراما

---

(١) السابق ص ٢٨٠.

(٢) اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ ديوان عبد الرحيم محمود ـ دار العودة بيروت ـ ١٩٧٤م.

والصغار الباكونَ غَصُّوا بمزج ... الدم والدمع ثم ماتوا يتاما
ورجال الكفاح ثاروا غضابا ... عُزَّلاً يطلبون موتاً زؤاما
في «فلسطين» يا لقومي رزايا ... هل عمينا عن ذاك أم نتعامى
والحكومات ـ وهي سبع عجاف ـ ... قد أعدت للذود عنها كلاما[1]

أما الشاعر خالد الشواف فقد كشف ما للهدنة الأولى من أثر ضار على العرب وطالب باستئناف القتال فقال:

أيها الرابضونَ للوثبةِ الكبرى ... وأُفْقُ السلامِ بالشرِّ غائمْ
إنْ يَطُل ليلُكم فَمِنْ بعدِه الصبحُ ... وتحتَ الظلامِ تُجلى الصوارمْ
وغداً تُبطِل اللظى سحرَ (برنادوتَ) ... بين الرّقى وبين التمائمْ
والعجوزُ التي توسوسُ في كلِّ ... فؤادٍ بما يشلُّ العزائمْ
نفضتْ كفَّها خداعاً كأن لمْ ... تحمِ في أمسِها القريبِ الأراقمْ
ووثبتمْ لسحقِهنَّ فناحتْ ... للسلام الهضيمِ نوحَ الحمائمْ
أيها الوالهونَ بالسلمِ زوراً ... قد بذرتمْ باسمِ السلامِ السخائمْ
وسقيتمْ أرضَ السلامِ دماءً ... فجنيتم عند الحصاد الجماجمْ
ضل عنها اليهود حتى أقمتم ... لهم فوقها الصوى والمعالمْ
كم بكيتمْ عليهمُ حينما هاموا ... فأوليتُمو بها كلَّ هائمْ
ثم هامَ المشردونَ من العُربِ ... فأينَ النواحُ أينَ المآتم
أيها الآملون للحقِ بعثاً ... إنَّ ما تأملون أحلامُ نائم
صُمَّ سمعُ الذئابِ عن دعوةِ ... الحقِ فخلّوا علاجَه للزمازم
مَلَّ طولَ القعودِ كلُّ أبيٍ ... إنَّ دأبَ العظيمِ صنعُ العظائم
طال شوقُ السيوفِ بعد صلاحٍ ... والمثنى وخالدٍ للملاحم[2]

(١) عمر بهاء الدين الأميري ـ من وحي فلسطين ـ دار الفتح ـ بيروت.
(٢) خالد الشواف ـ من لهيب الكفاح ـ ١٦ ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ـ ١٩٥٨م.

وقال محمد الأسمر يلوم بريطانيا التي تسمى صديقة العرب بخيانة العرب والإنحياز التام إلى اليهود. . .

لسنا بمنْ يذري الدموعَ على الدمِ ... بـل نحنُ أبناءُ المنـايا فـاعلمِ
قلْ للعروبةِ هل حَمِدْتِ بلاءَنَا ... ورأيتِ كيفَ نُهـوضَنَـا لـلأرقمِ
ورأيتِ كيفَ قُبـوعَـهُ فـي تَلَّةٍ ... في ذلـةِ المتهـالـكِ المستسلم
ورأيتِ كيف حَمَـاهُ منـا معشـرٌ ... هو منهمُ في عصمةِ المستعصم
أنـا لا ألومُ بني اليهـودِ وإنّمـا ... حـلفـاؤُنـا أولى بـلومِ الـلّوم
زعمـوا صـداقَتَنـا ولكن فعلُهم ... أبداً يصيحُ بغيـرِ هذا المـزعم
لما مَشى جيشُ البلادِ مضفّـراً ... نحو العدى كانوا حصون المجرم
ظَلَم اليهـودُ الناسَ ثم تَـظلّموا ... منهم فمن للظالـمِ المتـظلم
أبنـاءُ صهيـونٍ بـأيـةِ حيـلةٍ ... أمسى الحليفُ بكفكم كالملجم
مهما يجد منكم فليسَ لكم لدى ... زعمـائِـه غيرُ المقـامِ الأكـرم
لما قتلتمْ بالرصاصِ (وسيـطه) ... مـرّتْ فجيعَتُـهُ كـأن لم يعلمِ
لـو غيرُكم أودى بـه أودتْ بـه ... وبقومِهِ بـطشاتُ من لم يـرحم
ولكم نقضْتم عهـدَنـا وعهـودَهُ ... ولبِستُمُ لـلغـدرِ شـارةَ مَعْـلَمِ
فحبـاكُم منـه الـرضـا متبسمـاً ... وحبـا العـروبـةَ نـظرةَ المتجهم
هـذا وكم من هـدنـةٍ مـزقتمُ ... ووثـبتـمُ ذؤبـانَ ليـلٍ مـظلم
لـولا ضـراغِمُنَـا لحلتْ نكبـةٌ ... بـاللدِّ فـوق تـوهمِ المتـوهم
تلك الخيـانةُ لا خيـانَـةَ مثلُهـا ... هي في جبينِ الغدرِ أقبحُ ميسم
سِـرُّ جِهلنـا منـه مَبلغَ أمـرِهِ ... و(جلوبُ) أعلَمنا بهذا المُبهم[1]

أما الشاعر بدر الدين الحامد فقد شخص بدقة سبب الهزيمة وكشف خبايا

(١) محمد الأسمر ـ ديوان الأسمر ـ ص ٢٠٠ ـ دار الفكر العربي ـ شركة فن الطباعة ـ بلا تاريخ.

ونوايا الزعامات العربية فقال في قصيدة مطولة بعد النكبة مباشرة:

أُزْجُرِ العينَ أَنْ تَسِحَّ الدمُوعا ... وابعثِ الشعرَ في الخصوبِ وَجيعا
الزعاماتُ من ورائِكِ عارٌ ... وَصغارٌ يَغشَى العلا والربوعا
تخذتْ منكِ للظهورِ سبيلاً ... وانكفأنا إلى الهوانِ رجوعا
وأتتنا بالنصرِ لفاً ونشرا ... وكذابا بما تحوك بديعا
ويحكمْ أين نصرُكمْ في ديارٍ ... فرّقَ الخصمُ شملَها المجموعا
أنا قَلّدتُكمْ وساماً بشعري ... وجعلتُ الجديبَ منكم ربيعا
ليتني لم أقلْ ويا ليت شعري ... غاضَ لما اتّخذتُكمْ يُنبوعا
أخداعٌ وذلة وانقسامُ ... وتريدونَ أَنْ أكونَ مطيعا
ضاقَ صدرُ الآباء مما تكيدو ... ن وضجَّ الوفاءُ منكم جميعا
في مجالِ اختلافِكم وقفَ الحقُّ ... هزيلاً واليومَ خرَّ صريعا
يا بني العم لا عزاءَ وأنتمْ ... في التأسّي لا ترقبون سميعا
مَلَؤوكمْ حَمَاسَةً فَظَنَنْتمْ ... ما يقولونَ في اللقاءِ دروعا
فاطمأنت قلوبُكم لكلامٍ ... كانَ زوراً منمقاً مسجوعا
كم طريحٍ بالغدرِ لا بالتلاقي ... مَجَّ في الموتِ علقَماً ونجيعا
وفتاةٍ عاثوا بها وَرَموها ... بنصال تفرى الحشى والضلوعا
وشيوخٍ جاؤوهم بالمنايا ... في المحاريب سُجّداً وركوعا
ربَّ طفلٍ داسوه بالمهدِ حتى ... أسلموهُ إلى المنون رضيعا
ذابَتِ الأمهاتُ واحترقت حزناً ... وجفت على المصاب دموعا
كل هذا ونحن نملأُ سمعَ ... الأرضِ فخراً مكذبا مصنوعا
كم رسمنا للحرب نهجاً وجئنا ... بقرار أُعدَّ ثم أذيعا
ثم لا شيء نحن دنيا جدال ... قد تخذنا الهوى لنا موضوعا
يا فلسطينُ أنتِ أندلسُ الدمعِ ... سقاكِ الزمانُ سُمّاً نقيعا

كنت بالأمسِ للعروبةِ روضاً ... كيف أمسيتِ لليهودِ زروعا
ليس لليأسِ ملكٌ في فؤادي ... حَقُنَا فيكِ كالصباحِ نصوعا[1]

وقال محمد مصطفى الماحي يصف هول النكبة ولكنه لا يفقد أمله بالله في نصر المسلمين:

فلسطينُ الشهيدةُ خبرينا ... فقد ظن الدعاة بك الظنونا
وراحوا ينشرونَ بكلِّ أرضٍ ... حديثَ الخادعينَ المفترينا
أحقاً باتَ شعبُكَ مستكينا ... أحقاً عافتِ الأسدَ العرينا
أحقاً غيرتْ منك الليالي ... فأسلمتِ القيادَ لغادرينا
أحقاً لن يعودَ إليك مجدٌ ... بناهُ المسلمونَ الأولونا
لقد كَذَبوا فعزمُكَ غيرُ نابٍ ... وشعبُك لم يَزُد إلا يقينا
فكم كافحتِ من أممٍ تلاقتْ ... لغزو الوادعين الآمنينا
تجمعتِ اليهودُ وعززتهمْ ... قوى الغربِ الذي اتخذوا معينا
فكانت هدنةٌ خدعتْ شعوباً ... وكانت خدعة نصبت كمينا
وراحَ المعتدونَ يرونَ حَقّاً ... لهم أنْ يدركوا الأمل الشطونا
فمن شطِّ الفراتِ لنيلِ مصر ... رمت بهمُ الأماني طُامعينا
فلسطينُ الشهيدةُ كنتِ هدياً ... رآه أخو الهوى صيداً ثمينا
فديتُكِ إذ غدا أهلوكِ نهبا ... وباتوا في العراء مشردينا
وكانوا في مواطنهم كراماً ... فصاروا الباثسين اللاجئينا
فداكِ المسلمونَ ولستُ أغلو ... فكم روّى الثرى دمهم سخينا
فصبراً في مجالِ الهولِ صبراً ... فإنَّ النصر عقبى الصابرينا

(١) بدر الدين الحامد ـ ديوان بدر الدين الحامدشاعرالعاصي ـ جـ ٢ ـ ص ٣٤١ ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٥م.

وإنّ الحكم حكمُ الله حقاً  وإن الله خيرُ الحاكمينا[1]

وعلى أثر انتهاء الحرب وانخذال العرب كتب خضر الطائي قصيدة بعنوان «فلسطين والحكم المتخاذل» جاء فيها:

لنا كلُّ يومٍ لفتةٌ للأوائل  وَرَنَّةُ إعجاب بغُرِّ الشمائل
وما عامُنا الماضي على هفواتِه  وأحداثِه الرعناءِ إلا كقابِلِ
غَفَلنا عن الآمال غفلةَ سادرٍ  وهلْ تَبْلُغُ الآمالُ همةَ غافل
نطيلُ بذكرِ العبقريةِ بيننا  ولم نحظَ منها لادكّارٍ بطائل
أيكفي بأنْ نبقى وإنْ بَقيَ الأسى  أواخِرُنا مزوهوةٌ بالأوائل
فقد عبثتْ بالغَيّ فينا ميولُنا  إلى كلِّ ركنٍ عن هدى اللهِ مائل
صَرَفنا عن النهجِ القويمِ رِكابنا  فسارتْ بنا من لهونا في مجاهل
وقد نزلتْ فينا نوازلُ جَمّةٌ  وهتكُ حمانا شرُّ تلك النوازل
وعدنا مِن الخذلانِ في عقر دارِنا  نُجَامِلُ بالإحسانِ من لم يجامل
جنحنا لسلمٍ ندعيه تَحَلُّماً  فيا للنهى من حلمِنا المتخاذل
نسينا لواءَ النصرِ فوق رؤوسِنا  رفيقاً وألوينا صدورَ الجحافل
إذا لم يقمْ للهِ في القلبِ منبرٌ  فماذا عسى يجديه صوتُ المحافل[2]

وقال الشاعر محمد العدناني يبين جهاد أهل فلسطين:

ألوماً على ما نابنا من مصائبٍ  ولم نجترحْ إثماً ولم نقترف ذنبا
وكنا لكمْ درعاً تقيكمْ عصابةً  تزفُ الأسى والشرَ والهولَ والجدبا
وذدناهُمُ عنكم ثلاثينَ حَجَّةً  بعزمٍ مَحَاشِم المعاقلِ والهضبا

(١) محمد مصطفى الماحي ـ ديوان الماحي ـ ص ٣٠ ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٦٨م.
(٢) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٧ ـ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٩م.

ونحنُ صَمَدنا للعدوين وَحْدَنَا صموداً أثارَ الكونَ قاطبةً عجبا
هممتُ بلومِ العرب لوماً مدوياً على ما بدا منهم فردتني القربى[1]

وكتب عيسى الناعوري[2] بالأسلوب نفسه فقال:

كَذَبوا فكمْ جاهدتِ قبلُ وحيدةً خصمينِ جبارينِ دونَ وَنَاء
حقب طوالٌ لم تهن لكِ عزمه فيها ولم ترضَ بالاستخذاء
شهدتْ لك الأيامُ واعترفَ العدى ببطولةٍ جبارة شماء
إن كانَ ذاكَ خيانَةٌ يا حبذا لو عشتِ خائنةً بلا نصراء
هم أسلموكِ إلى العدوِّ فمرّغُوا بالعارِ كلَّ كرامَةٍ وإباء
بل مرّغوا تاريخَ يعربَ كلِّه بمذلةٍ لا تنتهي نكراء
زمر تعيشُ على الخيانَةِ مثلما عاشَ البعوضُ على خبيث الماء[3]

أما محمود الحوت فقد عاب على الدول العربية هزيمتها في فلسطين فقال:

أتطبقُ السبع أطباقاً لتخرجها وتُسكِنَ المعتدي أزهى مغانيها
فهل سمعتم بحربٍ كالتي نَكَبوا بها فلسطينَ واجتاحوا أهاليها
وشتتوهم ضحايا هائمينَ على وجوههم بعد تركين العدى فيها
وعادَ كلٌّ إلى الأوطان تُرهِقُهُ رسالةٌ كان في الأقصى يؤديها[4]

لكن الشاعر عمر أبو ريشة أخذ خطاً مغايراً فصب لومه على الأمة ولعل عنف صدمة النكبة قد أثرت عليه فلم يجد السبب المباشر في النكبة... فقال:

أمتي هل لك بين الأممِ منبرٌ للسيفِ أو للقلم

---

(١) د. صالح الأشد ـ في شعر النكبة ـ ص ٤٣ ـ مطبعة جامعة دمشق ـ طبعة أولى ـ ١٩٦٠م.
(٢) الشاعر عيسى الناعوري: ولد في قرية ناعور بفلسطين عام ١٩١٨ ـ درس العربية وآدابها كما أنه يجيد عدة لغات أجنبية له كتب مترجمة عن الأجنبية..
(٣) السابق ص ٤٤.
(٤) السابق ص ٤٢.

أتـلقـاكِ وطـر فـي مـطرقٌ خجِـلاً من أمسـكِ المنصـرم
ألإسـرائـيـلَ تـعـلو رايـةٌ في حمى المهد وظل الحرم
كـيـف أغضيتِ على الذلّ ولم تـنـفـضـي عـنـكِ غـبـارَ التهم
أو مـا كنتِ إذا البغيُ اعتدى مـوجـةً من لهـبٍ أو من دم
اسمعي نوحَ الحزانى واطـربي وانـظري دمع اليتـامى وابسمي
واتركي الجرحى تداوي جرحها وامنعي عنهـا كـريم الـبلسـم
ودعـي القـادة فـي أهـوائهـا تتفـانـى في حـسيس الـمغنم
رب وامعـتـصـمـاه انـطلقت مـلءَ أفـواه الصبـايـا اليتـم
لامـست أسـمـاعهـم لكـنـهـا لم تـلامسْ نخـوةَ المعتصـم
لا يـلام الـذئبُ في عـدوانـه إنْ يـكُ الراعي عـدوَّ الغنم[1]

إلا أن هذا الأسلوب لم يعجب الشاعر محمد المجذوب لأنه اتهام عام للأمة فرد مدافعاً عن الأمة مبيناً أسباب النكبة بوضوح فقال:

شعبُـكِ المنكـودُ لم يـأثمْ بمـا نـالَهُ من نُـوَبِ الـدهـر العمى
ورث الـروحَ التي عـزَّتْ بهـا يعـربٌ في أمسهـا المنصـرم
وانتضى العـزمَ الذي دانتْ لـه في عصـورِ الفتـح هـامُ الأمم
غـيـر أنَّ الله لـم يَـرْدُد لـهُ قادَةَ الماضي ذوي الأنف الحمى
فيلَقٌ لـو كـان فيـه خـالـدٌ وطِىءَ العُـرْبُ جبـاهَ الأنجـم
سـل بـه شـرتـوكَ أو أجنـادَهُ هـل رأوا ثمـةَ غيـرَ الضيغم
هَـدَمَ السـاسَـةُ مـا شـادَ القنـا فخـلا السـاحُ لجنـد الـكلم
لا تقـلْ لم يشتفِ الثـأرُ فمـا أعـجـزَ الثـعلبَ لـيثُ الأجـم
إنـه الـغـدرُ ومـا أقْـتَـلَه حين يـلقـاكَ بـه ذو الـرحم

(١) السابق ص ١٠٠.

أسلم «اللد» إلى جلادها ... وحبا «الرملة» كف المجرم
فإذا «النقب» جحيم وإذا ... موطن «السبع» بأيدي الرخم
جَمَدَ الأخوةُ عن نجدتها ... بينما الأكبُدُ تغلي بالدم
لو أزيحَ الغلُّ عن أعناقِهم ... أخرسَ الحقَّ لصوصُ الأمم
ذلك الشعب الذي جرعتَهُ ... غصصَ العتبِ ولما ترحم
إن يكن قد هزمت قادتُه ... فهو الجيشُ الذي لم يهزم[1]

وقال محمود سليم الحوت وهو يكاد لا يصدق الهزيمة:

سبعٌ من الدولِ الكبرى تناصِرُها ... شهراً فكان الذي قد كانَ من عَجَبِ
أما الثلاثونَ عاماً وهي راويةٌ ... عن كبحِنَا أُمَّتي قَهرٍ ومستلبِ
فلم تنل من شبابٍ راح يضرمها ... في وجهِ ملتجىءٍ منهمْ ومغتصب
شعواءَ موصولةِ النيرانِ جائعةً ... نكراءَ كافرةً صخّابةً اللهب
صَلْبُ العقيدةِ ما لانتْ عزائمُه ... كأنه في صراع المشركينَ نبي[2]

أما برهان الدين العبوشي فقد كان بعيد النظر دائماً حيث نصح وحذر من قبول الهدنة الأولى فقال:

هدنةُ المكرِ هذه سوف نجني ... بعدَها الذلَّ والعذابَ المقيما
أيها الغافلون لا تأمنوهمْ ... إنَّهم ينفُثُونَ فيكمْ سموما
سترون الثغورَ تملأُها السفـ ... ـنُ سلاحاً لخصمكم ورجوما
ثم يلوون في الظلامِ عليكم ... حيث لا يتركون فيكم فطيما[3]

---

(١) محمد المجذوب ـ همسات قلب ـ ص ١٥٠ ـ دار العربية للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٠م.
(٢) د. ناصر الدين الأسد ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ـ ص ٢٤٨ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١م.
(٣) السابق ص ٢٦١.

أما فؤاد الخطيب فقد صب غضبه على الدول المتخاذلة وعلى أمريكا التي ساعدت اليهود بكل ثقلها لكنه لم يستسلم للهزيمة وما زال للعرب جولات فقال في قصيدة (فلسطين الثكلى):

هو الصوتُ دوى في فلسطينَ عالياً ... وأوغَلَ يَغْشى الشرقَ والغربَ شاكيا
فهل سَمِعتْ أخت العروبة من صدى ... وهل نَشَدتْ للعارِ بالسيفِ ماحيا
وإن جَبُنَ الأحياءُ عن أخذِ ثأرِها ... هززتُ من الموتى الجدودَ الأواليا
ومرّغتُ أنفي في الثرى ألثمُ الثرى ... وصحتُ فحركتُ العظامَ البواليا
فأين عهودُ الناكثينَ وما ادعوا ... وكيف تولوا يحملون المخازيا
فإن نَهَشَتْ أفواهُهم شُلْوَ لحمها ... وإن لَحَسَتْ منه الدمَ الغض قانيا
فيا ويلهم من أكلةٍ في بطونِهم ... مشى المهلُ فيها من جهنمَ حاميا
أيأذَنُ كرسيُ السرئاسةِ أنّه ... يُراكَ وكيلاً لليهود وداعيا
فتنطقُ عنهم منذِراً كلَّ كاشح ... وتطلقُ منهم في البلاد الأفاعيا
وهل وجدوا الجبارَ «هتلر» عاتيا ... كما كنت جباراً على العرب عاتيا
وأنت تحضُّ المجرمينَ محرضاً ... وَتَلْبَسُ للسلمِ المسوح مراثيا
وخنتَ تراثاً للمسيحِ مقدّساً ... فكنت عدواً للمسيح وقاليا
وما اخترقتْ سكينُ شيلوكَ مهجةً ... من العرب إلا عدَّك العربُ جانيا
فإن عَصَفَتْ ريحُ الحوادث في غدٍ ... ستسمع كيف الموجُ يصعقُ طاغيا
هي الجولةُ الأولى وللعربِ كرةٌ ... وغيرُ بعيدٍ كلُّ ما كان آتيا
وقد عرفت عنا فلسطينُ أننا ... وإنْ نحن فارقنا استطعنا التلاقيا
وأكبر ذنبٍ لي هو الدينُ وحدَه ... وما كنتُ لولا الدينُ أخشاكَ عاديا
ولا امتد نحوي مخلبٌ منك مرهفٌ ... فمزق مني الشمل ينزف داميا
وكل مسيحيٍ لديكَ ومسلمٍ ... يعد غريباً عن فلسطين قاصيا
ولو هو ألقى الدينَ عنه تمردا ... وبات يهودي العقيدة راضيا

لأصبح فيها في الصميم تَمَكُّناً ... وكان لديها من عتوكَ ناجيا
تعزز ديناً منه لفقتَ دولةً ... صدمت بها الإسلام والشرق غازيا
وما غاب «بلفورُ» الذي باتَ رمةً ... وقد عفِنَتْ حتى تراءيت تاليا[1]

## الثناء على المجاهدين

ولم ينس الشعراء المسلمون الإشادة بالمجاهدين الذين برزوا في ساحات الجهاد وقاتلوا بإخلاص حتى استشهدوا أمثال عبد القادر الحسيني وأحمد عبد العزيز ومحمود صادق. . .

فقال خالد الشواف يرثي عبد القادر الحسيني:

دمُ الحسينيِّ سلْ عنهُ عرينَتَهُ ... هل ضاء في القسطلِ الحمراء أم عبقا
يا أيها الضيغمُ الثاوي بتربَتِهِ ... لسنا ننامُ وجفنُ الثأر ما انطبقا
سيشربُ الثأْرُ ما يسقيه مصطحباً ... ساقي الدماءِ وما يسقيه مُغْتَبقا
إنْ يظمإِ الوِتْرَ يُطْفِ الحرُّ غِلَّتَهُ ... وإنْ سَقَاهُ نجيعُ القلبِ والرَمَقا
يا مصرعَ الليثِ لا تبرحْ خَواطِرَنَا ... ولا تذدْ عن ليالي جيلِنا الأرقا[2]

وقال الربيع أبو شامة بهذه المناسبة[3]:

حي ذاكَ الصريعَ في الميدانِ ... باسمَ الثغرِ هادئَ الوجدانِ
يرفَعُ الطرفَ للسماءِ شكوراً ... نعمةَ الموتِ عن حِمى الأوطانِ
والدماءُ الحمراءُ تَذْفُقُ نوراً ... وحياةً مشبوبةَ الألسوان
تبعثُ الروحَ في البلادِ وتذكي ... سِرَّ مجدٍ في الشيبِ والشبان

(١) فؤاد الخطيب ـ ديوان الخطيب ـ ص ٣٨٦ ـ دار المعارف ـ بمصر ـ طبعة أولى ـ ١٩٥٩م.
(٢) خالد الشواف ـ من لهيب الكفاح ـ ص ١٢ ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ـ ١٩٥٨م.
(٣) الربيع أبو شامة: شاعر جزائري:

بطلَ القسطلِ الشهيـدَ المفدى حزتَ مجداً مخلداً في الزمان
إنْ تعالجك في الجهاد المنايـا قد بلغتَ المدى على الأقـران
وامتلكتَ الغاياتِ حـزماً وعـزماً رغمَ أنفِ الخصم الطريدِ المهان
ليست العروبةُ أمةَ الدمـع لكنْ أمةَ الدفـعِ والفدا والـطعان[1]

أما الشاعر عدنان النحوي فقد رثا الشهيد الحسيني بعمق أكثر لأنه عايشه فقد عاد عبد القادر الحسيني من دمشق دون أن يحصل على السلاح المطلوب لذلك قاتل في القسطل وكأنه يقول اللهم إني لا أملك إلا نفسي وهذه العصبة القليلة معي.. يقول عدنان النحوي:

عـادَ الهزبَـرُ فما للقلبِ يضـطربُ وللعيـونِ وهـذا الـدمعُ ينسكبُ
جـاء البشيـرُ إلينـا والنَّعي معـاً كـلاهما خفقـةٌ: فالنصـرُ والحَرَبُ
لم يقبلِ القلب غير البشر من خبر ولم يـرَ النعْيَ إلا وهـو يقتـربُ
قالوا الرصاصُ يحيي بشـرَ عودَتِـهِ وهـذه القـدسُ خَفَّتْ نحـوَهُ تثب
على الأكفِّ مسجى في مهـابتـه وحـولـه ثـلةٌ أو فـتيـةٌ نـجب
لم يعلمِ الناسُ هل حيٌّ يقودُهم إلى المعـاركِ أم مـوتٌ ومحتـرب
لم يلمسـوا فيـه إلا أنسه بـطلٌ حـي يقـودُ ولا يُـثنَى لـه أرب
فليس من عجبٍ أن قـال قـائلهم مراكبُ النصر فيها المنظر العجب
لا يبلغُ الفكرُ ما جازَ المماتُ به ولا يـراهُ خيـالٌ وهـو يَحْتَجِب
ويحي أهـذا جـدارٌ كيف ينـزلـه ضَيْقَاً وكان يضيقُ المنـزل الرحب
كـأنمـا بـاتَ يـدوي من مـراقـده قصفُ المدافعِ قد طارت بها اللهب
أمسى الذي ماتَ قد أحييتَهُ أبـداً نـهراً يضيء وأمجـاداً لهـا نسب

(١) عبد الله ركيبي ـ قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ـ ص ٦٧ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ ١٩٧٠م.

قد كنتَ بالشامِ لا تُلهيكَ بانَتُها ... عن هِمّةٍ ورعاكَ النجمُ يرتقب
سألتهم مدفعاً يا ليتهم دفعوا ... عنك الردى وأجابوا غيرَ ما طلبوا
فما هُمُ غيرُ آلاتٍ تحركها ... سياسة كيف ما مالوا أو انقلبوا
كذاك عدتَ سريعاً لا تبادِلُهمْ ... سوءاً بسوء ولم تغضبْ كما غضبوا
حلفت بالله أن تغدو بكوكَبَةٍ ... في ربوةِ القسطلِ الهوجاءِ تحتطب
وخضتَ شرقيها ترمي بوارجَهم ... بفتيةٍ نجبٍ لا جحفلٌ لجبُ
خمسٌ وعشرونَ لم تنجدْ مطيتَهم ... مدافعٌ وسواهم معقِل أشب
دخلتَ حاميةً فيها فما عرفوا ... غير الرصاصِ طعاماً منك أو شربوا
لم يبق عندك مذخورٌ فتقذفُه ... أو منجدٌ قائمٌ يدنو ويقترب
حتى قضيت وفي جنبيك أوسمةٌ ... حمراءُ لا ماسةٌ فيها ولا ذهب
فخرٌ فما جاد في تعليقها أحد ... يلهو ولا هي نيشانٌ ولا لقب[1]

أما الشاعر محمد الأسمر فقد رثا المجاهد أحمد عبد العزيز الذي قاتل في فلسطين مع المجاهدين من كتائب الأخوان المسلمين وكان نادر الشجاعة...

مصرعُ القائدِ في ميدانه ... هو للقائدِ عيشٌ بل خلود
فاذكروا أحمَد بالخيرِ إذا ... رفرفتْ في ساحةِ النصرِ البنود
واذكروا أحمدَ في هولِ الوغى ... والميادين بمن فيها تمور
فلقد كانَ لها قطبَ الرحى ... ثابتٌ والموتُ حوليه يدور
واذكروا أحمدَ في عصفِ الرياح ... كلما هبتْ ودوتْ كالأسود
كان كالإعصارِ في إقدامِهِ ... وهو يلتفّ بأشرار اليهود
سائلوا «غسزةَ» عنه وسلوا ... «بيرَ سبعٍ» وسلوا عنه الخليلا
وسلوا «القدسَ» وعنه فاسألوا «بيتَ لحمٍ» تعرفوا الذكرَ الجميلا[2]

(١) عدنان النحوي ـ الأرض المباركة ص ٤١ ـ المكتب الاسلامي ـ ١٩٧٦م.
(٢) محمد الأسمر ـ ديوان الأسمر ـ ص ٢٠٤ ـ دار الفكر العربي ـ شركة فن الطباعة ـ بلا تاريخ.

أما هارون هاشم رشيد فقد رثا الشهيد محمود صادق بطل معركة غزة فقال مخاطباً أم الشهيد:

أَنَا لا أريدُكِ في جموعِ الباكياتِ النادبات
أنا لا أريدُكِ في جموعِ البائسات
إني أريدك للكفاح وللجهاد وللثبات
إني أريدُكِ في جموعِ الصابرات العاملات
أنا لا أريدُكِ تذكرين فتاكِ بالدمعِ السخين
بالحزنِ بالأناتِ بالأشجانِ بالصوت الحزين
بتلهفِ القلبِ الطعين وبالتوجعِ والأنين
إني أريدك تذكرين فتاك بالثأر الدفين
بالوثبة الكبرى غداً في موكب النصر المبين
أماه يا أم الشهيدِ العبقري الخالدِ
ما غابَ فارِسُكِ الأبيُّ عن النضالِ الصامد
هو لا يزال هنا هناك أمام كل مجاهد[1].

## الشعر بعد النكبة

وبعد النكبة عام ١٩٤٨ م تغيرت لهجة الشعراء فقد كانوا أولاً يحضون الناس على الجهاد ثم فوجئوا بالنكبة وبصمات الخيانة فكتبوا حول ذلك ثم طرأت حالة مثيرة إثر ذلك وهي صورة المشردين النازحين فانقلب الشعر إلى رثاء فلسطين وأهل فلسطين إلا أن الإيمان بالعودة وطرد المعتدين ظل يلمع في قصائدهم ولكن بشروط ذكروها. . . فقد قال محمود سليم الحوت:

(١) هارون هاشم رشيد ـ عودة الغرباء ـ ص ١٩ ـ منشورات المكتب التجاري ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

إن لم نعبىءْ قوى التاريخ أعنَفِها ... والحاضرِ الجهمِ والمستقبلِ السمحِ
ونتحدْ أمةً تفنى بها أممٌ ... وتنفضُ النوم عنها صيحةَ الجرحِ
ونحتملْ شظفَ العيشِ المريرِ فلا ... لهوٌ ولا فرحةٌ تحنو على قَدَحِ
ونضرمُ الحربَ نيراناً مسعرةً ... في وجهِ كل عدوٍ طامعٍ وقحِ
فلا فلسطينُ تبقى يا رفاقُ لنا ... ولا الشقيقاتُ من أُوْرٍ إلى رفحِ
ومسبَح النيلِ يمسي وهو في خطرٍ ... إذا رضينا بما خطّوه من صلحِ[1]

أما عدنان النحوي فقد قال بشكل أوضح:

إيه يا قدسُ مهبطَ الوحي هبي ... نفحاتٍ وأشرقي أضواءَ
والنبواتُ في رحابِكِ تسعى ... وهي تتلو آياتِها العصماءَ
والنبيُّ العظيمُ يعرجُ منها ... قَبساً يملأ الزمانَ ضياءَ
أينَ غزّةُ الجهادِ أطلّي ... أين ألقى الخليلَ أو عكاءَ
لست أبكي ترابَها ومروجاً ... نَضَبتْ أو حجارةً صماءَ
إنما أندبُ العقيدةَ تذوي ... في نفوسٍ تعيسةٍ والإباءَ
ما هَجَرنا ديارَنا غيرَ أنّا ... قد هَجَرنا العقيدةَ السمحاءَ
لفظتنا الديارُ إذ ذاك لفظاً ... وأحالت كِرامَنا غرباءَ
عجَباً كيف قُطِّعَتْ أمةُ العر ... بِ وكانت عقيدةً وإخاءَ
عجباً كيف زُلزلتْ أسسُ الدا ... رِ وهبّتْ رياحُها هوجاءَ
ذلَّ مَنْ يطلبُ الحياةَ من الخصـ ... ـمِ ويرضى من كفه إعطاءَ
فئةٌ من بني العروبةِ ضَلّتْ ... وتمادوا بغيهم جبناءَ

(١) د. ناصر الدين الأسد ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ـ ص ٢٤٩ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١م.

وفلسطينَ لم تَعُدْ غير لفظٍ ... لم تجاوزْ شفاهَهَا الخرساءَ
أو شعار يسوقُهُ مهرجانٌ ... أو أغانٍ تهزها خيلاءَ
أمتي عودةٌ إلى الله تُحيي ... ميّتَ الأرضِ والنفوسَ الخِواءَ
أمتي عودةٌ تَرُدُّ إلى النفـ ... ـسِ ضياءً يمزق الظلماءَ
عودةٌ إلى الجهادِ وتُعلى ... رايةَ الحقِ واليقينَ علاءَ
يا فلسطينُ هذِه سُبُلُ النصرِ ... فَهُبّي ورددِيها نداءَ
عصبةُ الحقِّ ما تزالُ تدوي ... وتمد الكتيبةَ الخضراءَ
هكذا أمةٌ تريد حياةً ... فهي يرثي شهيدُها الشهداءَ
حملت في فؤادها آيةَ اللـ ... ـه يقيناً وفي اليدين مضاءَ
في ظلال القرآن يهدر زحفٌ ... ملأ الأرض واستظلَّ السماءَ[1]

فالشاعر الإسلامي كان على علم ويقين بالعوامل التي تجلب النصر لذلك ركز عليها الشعراء المسلمون وجعلوها من صلب دعوتهم وهي العودة إلى كتاب الله وإلى الجهاد في سبيل الله ونبذ الخلافات والأحزاب المضللة كما برزت في فترة ما بعد النكبة صورة المأساة الدامية في فلسطين وهذه نماذج لهذا الشعر. . .

قال بدر الدين الحامد في ذكرى النكبة عام ١٩٤٩ م:

ما رماها في الميادينِ عِدَاها ... إنْ جهلتمْ فاسألوها مَنْ رماها
عَرَضٌ أدنى ومجدٌ باطلٌ ... حَسِبوا ظلّهُمَا ملكاً وجاها
يا لعارِ الدهرِ مَنْ كنا بهم ... في ميادينِ التلاقي نَتَباهى
أسلمونا في الميادينِ إلى ... خصمنا فاستأسَدَ الخصمُ وتاها
أُمِروا فأتمروا ذلاً وكمْ ... عَفّروا في معرضِ الأمرِ الجباها
روضةٌ معشِبَةٌ مَرَّ بها ... أَحْقَرُ الناسِ مكاناً فرعاها

(١) عدنان النحوي ـ الأرض المباركة ـ ص ٦٣ ـ المكتب الاسلامي ـ ١٩٧٦م.

أتـراهـا حُـفِـظت أقـوالُـنـا  أم تناستها بما اليومَ دهاها[1]

وقال أيضاً مدافعاً عن الشعب:

لـم نـخـنْ ولـكـنَّ الـهـوى  عندَ بعض الناسِ في الحربِ غلبْ
أسلمونا في الميادينِ إلى  نارِهم طوعاً فساءَ المنقلب
يـا عبيـدَ العَـرَض الأدنى ألَمْ  تصبحوا عاراً على مر الحقب[2]

وقضية فلسطين ظلت تلح عليه كلما جاءت ذكراها ففي عام ١٩٥٠ م قال في قصيدة عنوانها شهداء فلسطين:

فـي مـيـاديـنـكِ دمـعٌ ودمُ  نـزحَ الأهـلُ وديسَ الأجَـمُ
ومضى التاريخُ لم يحفِلْ بنا  فبَكَى المهـدُ وناحَ الحـرم
ما لتلك الخيلِ في الساحِ كبتْ  ما لأبطالِ الوغى قد وَجَموا
ليتهم ما جـرّدُوهـا حـملةً  ضحكتْ منهـا علينـا الأمم
جـولـةً ثـم تـولـوا مِـزَقـاً  فَسَـطا الذئبُ وصـالَ الأرقم
تخذوا الخصم مشيراً ناصحاً  وهـو في الموت عليهم حكم
قـادهم شبـراً بشبـرٍ فمشـوا  مثلمـا شـاءَ لهم واستسلمـوا
نحن كالقطعانِ في رحب الفضا  نـمـلأ السـهـل ولكـن غـنـم
أحبِس الآه بـصـدري ألـمـاً  أيُّ آهٍ لـي وقـد كُـمَّ الـفـم
كنتُ بـالأمسِ أغني مجدَهم  فـإذا الـمجـد بـهم ينـهـزم
يـا شبـابـاً وقفـوا والنـارُ من  كـلِّ صـوبٍ حـولهم تضـطرم
لا يـبـالـونَ المـنيـاتِ وهـم  في رحى الميدانِ سيلٌ عرم

(١) بدر الدين الحامد ـ ديوان بدر الدين الحامد شاعر العاصي ـ جـ ٢ ص ٣٤٩ ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٧٥م.
(٢) السابق ص ٣٥٠.

كالرياحين وكالأسدِ معاً زلزلوا الأقدامَ لما أقدموا
وفلسطينُ قبورٌ كلُّها أينما سرتَ شهيدٌ معلم
يا فلسطينُ لك الذكرى ولي مدمعٌ بعد النوى منسجم
رسموا أن يصبح الأقصى لهم يا لذلِّ العرب مما رسموا
كم فتاةٍ خرجت من خدرها ومشت في الليل حيرى تلطم
بيّتوهم في العشياتِ ولا ملجأٌ يحمي ولا معتصم
آه لو كنتمْ رجالاً يوم إذ طوقوا منكم وَشُدَّ المأزمِ
فأبيتم هدنة فيها لهم كل غنم وعلينا المغرم
أمروكم فأتمرتم ضَعَةً فإذا المنطقُ فيكم أبكم
وتقولون ظروف وقُوىً لم تهنْ والله فينا الهمم[1]

كما كشف حال الزعماء المتنافسين على الدنيا فقال:

إن السياسةَ صدقُها ككذابها وجميعُ ما فيها إلى خسران
رانتْ على أجواءِ يعربَ غُمَّةٌ ترمي صفاءَ سمائِهم بدخان
يا ويلنا شادَ اليهودُ حصونَهم في دارنا والعربُ في هذيان
هم يبتنون ونحنُ نهدمُ ملكنا أنا من ذرا قيس وأنت يماني
هذا ابن عمك في الخصومة سهمُهُ يَرمِي مُطاكَ فكيفَ تلتقيان
ونقول إنّا وحدةٌ عربيةٌ قولٌ جميلُ الوقع في الآذان[2]

وقال في ذكرى التقسيم عام ١٩٥٤ م:

أصبحتُ أَخْجَلُ إنْ نطقتُ بِمَفْخَرٍ نام البزاةُ وجاءَ دور القبر
نهتز للمجد التليدِ أصالةً ونردُّ كيدَ الطامع المستهترِ

(١) السابق ص ٣٥١.
(٢) السابق ص ٣٩٢.

واليومَ نحن كما ترونَ بضاعةً ... معروضةً في سوقها للمشتري
عرب ولكنّا بغاثٌ ما لنا ... عملٌ بدفعِ الظالم المستنسر
والأقوياء وعودُهم وعهودُهم ... لمعُ السرابِ لناظري المتحير
وتقدموا فإذا بهم يجرون في ... ميدانِ لؤمٍ بالخيانة مسعر
من كل قلب مجرم متحجر ... بيد الهوى والأجنبي مُسَخَّر
تتلاعبُ الأيدي بنا فكأننا ... غَنَمٌ تقادُ إلى شفار المجزر
قالوا لنا التقسيمُ قلنا خطة ... مرسومة لنزاعنا المتوتر
هم أبرموه وهم أرادوا نقضه ... لنكون بين تردد وتحير
ومشوا بنا للحرب خطةَ عارفٍ ... بمصيرِها عند اللقاء المسفر
حتى إذا ما النصر صرّح في الوغى ... وقفوا وقالوا هدنةٌ للعسكر
حفظوا اليهود من الدمارِ وهكذا ... عُدنا كما شاءوا بنصر مدبر
وجلا عن الوطن المحبب أهلُهُ ... من كل أشعث في المسالك أغبر
بقروا البطونَ وشردوا الأطفال في ... عرض البلاد وأوغلوا في المنكر
أفبعد هذا يستجيرُ سراتُنا ... حلفاً يجر إلى الخنوع الأكدر
والله ما أدري أصار الذلُّ في ... أيامنا عزاً لكل مؤمّر
متكبرٌ لكنه في ظلهم ... رهنُ الإشارةِ ليسَ بالمتكبِر[1]

وقال خالد الشواف يصف اللاجئين:

من أينَ لا أرضٌ ولا وطنُ ... لا دارُ لا مأوى ولا سَكَنُ
مَنْ أنتمُ.. الغرباءُ أنكرَنَا ... وَأَشَاحَ عن مأساتِنا الزمنُ
اللاجئونَ وليتَ مَنْ وُسِموا ... باللاجئينَ بأرضِهم دفنوا
واليومَ حيث نعيشُ نكبتنا ... وتعيشها الأرزاءُ والمحن

(١) السابق ص ٣٥٧.

يـا أيهـا البـاكـونَ حسبكُم فـالدَّمـعُ لا شبـعٌ ولا سمنُ
الثَّـأرُ.. إنَّ الثَّـأر صـرخـتُنـا حتى نعـودَ هل هنـا أذنُ[1]

وقال أيضاً عام ١٩٥١م يشهر ببريطانيا والولايات المتحدة..

بلـونـاهُ احتـلالاً وانتـدابـاً فكـانـا في مآلهمـا سـواءا
فجاءتْ بالدفاع ومـا عهدنـا سـواها من يُنـاصِبُنا العِـدَاءا
أفي الوطن المقدسّ يومَ سامَتْ بنيهِ عن ديارِهُمو جلاءا
أخا الدولارِ مَنْ أرسى أساساً لإسـرائيـلَ أو دَعَم البنـاءا
ومن طَعَنَ السلامَ بكل أرضٍ فلمـا ماتَ أوسَعَـهُ رثـاءا[2]

وقال مفدى زكريا:

ذهب الأصيلُ عن الدخيل ضحيةً وأقـيم دون السلاجئين جـدار
وغدت سماسرةُ الظلام تسومها مـا شـاءه التجـار والسمسـار
وغدتْ فلسطينُ الـذبيحة دمنـةً في قـدسِهـا تتـراكمُ الأقـذارُ
فكـأنَّها بيـدِ القـوي بيـادقٌ وكـأنَّ أقـدارَ الشعـوب قمـارُ
وكـأنَّ مجلس أمنهـا سخـريـةٌ مفضـوحـةٌ وقـراره استهتـارُ[3]

وقال يوسف العظم في رباعياته حيث شهد المأساة:

بُعثِـرَتْ أيـامُنَـا عـامـاً فعـامـا وزرعنـا الأرضَ بؤسـاً وخيـامـا
وطـوينـا بسمـةَ العمـر على أمـلِ العودةِ أو نقضي كـرامـا
لا تسلني يـا أخي في عجبٍ لم لا تمـلأُ دنيـاكَ ابتسـامـا

(١) خالد الشواف ـ من لهيب الكفاح ـ ص ١٥ ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ـ ١٩٥٨م.
(٢) السابق ص ١٨.
(٣) مفدى زكريا ـ من وحي الأطلس ـ جـ ١ ص ١٢٥ ـ مطبعة الأنباء.

أنا مذْ مَزَّقَ قدسي غَاصبٌ ... صارتِ البسمةُ في شرعي حراما
وسألت القومَ عن ضجتهم ... قيل يبغونَ دقيقا وطعاما
منكب فيهم يحاذي منكباً ... وعظامٌ دفعت منهم عظاما
كم كَمِيٍّ عربيٍ ثائرٍ ... كبّلوا في كفِّهِ الدامي الحساما
وجوادٍ عربيٍ قد غدا ... يمضغُ السرج ويقتات اللجاما

* * *

هدموا المحراب واجتثوا المصلى ... ورمونا بلهيبِ المحرقات
ودعونا مجلس الأمن إذا ... ليس في المجلسِ أُذن لشكاتي
كنتُ بالأمسِ أردُّ المعتدي ... غيرَ أنّي اليومَ قد ذلتْ قناتي
ربِّ أدعوكَ نصيراً مرتجى ... أتُرَى تقبل في الذلِّ صلاتي[1]

أمّا عبد الرحيم محمود الذي عاين الخلاف بين العرب فقد قال قصيدة قبل أن يستشهد بمناسبة عيد الجامعة وضع فيها النقاط على الحروف:

حفي اللسانُ وجفَّتِ الأقلامُ ... والحالُ حالٌ والكلامُ كلامُ
مرَّتْ بنا الأيّامُ لم نسلكْ بها ... جُدَدَ الصوابِ ومرتِ الأعوامُ
والزَّورقُ التوهانُ سارَ مُحَيِّراً ... فوق الخِضَمِّ دليلُهُ الأوهامُ
وتخاصَمَ القوادُ بين مُشَرِّقٍ ... ومُغَرِّبٍ وتقطَّعتْ أرحامُ
مرَّتْ بنا الأيّامُ بين تعللٍ ... بغدٍ فضاعت بالرؤى الأحلامُ
ظلنا نقولُ غداً غداً هل حققتْ ... للائِبين على غدٍ أحلامُ
ظلنا نقول غدا يفيقُ ضميرُ مَنْ ... فقدَ الضميرَ ويعدِلُ الظُّلّامُ
بلفورُ ما بلفورُ ماذا وعدُهُ ... لو لم تكنْ أفعالُنا الإبرامُ

(١) يوسف العظم ـ رباعيات من فلسطين ـ ص: ٧ ـ ٩ ـ ١٦ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٠م.

إنَّا بأيدينا جَرَحنا قلبنا  وبنا إلينا جاءت الآلامُ[1]

وقال عبد الكريم الكرمي الملقب بـ(أبي سلمى) يهاجم رؤساء الدول العربية:

فلسطينُ الحبيبةُ كيفَ أغفو  وفي عينيَّ أطيافُ العذابِ
أُطَهِّرُ باسمك الدنيا ولو لم  يُبَرَّحْ بي الهوى لكتمتُ مابي
تمرُّ قوافِلُ الأيَّام تروي  مؤامَرَةَ الأعادي والصحابِ
خياناتُ الملوكِ وذُلُّ عرشٍ  أُقيمَ على الخيانةِ والخرابِ
سَعْدِنا في البلادِ وحين سادُوا  غدَتْ مَرعى الثعالِبِ والذِّئابِ
إذا كانت قلوبُهُمُ سواداً  فهل تكفيهِمُ بيضُ الثِّيابِ
وهل يكفيهِمُ لَهَبُ القوافي  وهلْ بعد الخِيانةِ من سبابِ
فلسطينُ الحبيبةُ كيف أحيا  بعيداً عن سهولِكِ والهضابِ
تناديني الشواطئُ باكياتٍ  وفي سمعِ الزمانِ صدى انتحابِ
غداً سنعودُ والأجيالُ تُصغي  الى وقعِ الخطى عند الإيابِ[2]

وهذا محمود سليم الحوت يندب بلده يافا بعد نكبتها وبعد أن هجرها مع النازحين:

يافا لقد جفَّ دمعي فانتحبتُ دماً  متى أراكِ وهل في العمرِ مِنْ أَمَدِ
أُمسي وأصبحُ والذكرى محدِّدةٌ  محمولةٌ في طوايا النفس للأبدِ
كيف الشقيقاتُ واشوقي لها مُدُناً  كأنَّها قِطَعٌ من جنَّة الخلدِ
ما حالها اليومَ يا يافا وهل نَعِمت  من بعدِ أن سُلِّمت أمساً يداً بيدِ

(١) اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ ديوان عبد الرحيم محمود ـ ص ١٤٤ ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٧٤م.

(٢) د. ناصر الدين الأسد ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١م.

وكيف من قَدْ تَبَقَّى في مرابعها وقد تركناهُ فيها ترك ملتحد
ما بالُ قلبي إذا ما سرت من بلدٍ وجدتُهُ هازئاً بالعيشة الرغد
تعبتُ لكنني ما زلتُ في تعبي أشكو الى الله لا أشكو الى أحدِ[1]

أما أمين شنار[2] فإنه يصور لنا من خلال ذكرى ليلة القدر مآسي فلسطين فيقول:

ليلةَ القدرِ لقد عادَ الظلام
يغمرُ الأرضَ وقد عاثَ اللئام
في بلادِ الوحيِ والموتِ الزؤام
والدَّمار
باسطٌ فوقَ رؤوسِ النَّاسِ ظلَّه
ناثرٌ في أعينِ الباكينِ ويلَه
وَهُمُ يدعونَ يا أكرَمَ ليلَه
في صغارْ
أنْ تكوني مشعلاً للحائرينا
نبعة خيّرة للظامئينا
عزة للمؤمنين التائبينا
وانتصار[3]

وقال منير الذويب:

أيُّها اللاجئُ يا ساكِنَ إحساسي وقلبي

(١) السابق ص ١٤٩.
(٢) أمين شنار: شاعر من فلسطين له ديوان اسمه (المشعل الخالد) ـ شاعر معتز بآثار الاسلام وأثره.. طبع الديوان عام ١٩٥٧م..
(٣) السابق ص ٣٠٥.

يا طريدَ الغبنِ قد هـاجَرْتَ من ويـلاتِ حربِ
أنتَ مـا ذَنْبُـكَ لـو لم يَسْتَحِـلُّوا كـلَّ ذنب
حقُّـكَ المسلوبُ مـوكـولاً الى العـزمِ الملبي
أينَ منـا العـزمُ يحمي حَقَّنَـا من كـلِّ خـطب
أيُّهـا الـلاجيء يـا قبلةَ تـحنـاني وعـطفي
يـا شَقيقي يا دَمي يـا شهيدَ أفكـاري وطـرفي
يا سليبَ الحقِّ من كلِّ ضعيفِ النَّفسِ جلف
أنـا لَنْ يُغْمَـدَ أو يُغْمَضَ عن حَقِّـكَ سيفي
أو ألاقي في سبيـلِ المجدِ والنصـرةِ حتفي
أيُّهـا الـلاجيءُ أيَّـامـكَ لـو تـدري نضـال
وصـراعٌ بـيـن أطـمـاعِ عـنـيـف ومُـطَال
إنَّ بينَ الحقِّ والبـاطِـل مـا انفـكَّ قتـال
فلمَ اليـأس وهـذا الـكـونُ جـدواه النـزال
عـالَمٌ مـذ كـانَ حتى اليـوم كـرٌّ وصيال[1]

وقال محمد عبد الله معيتيق[2]:

يـابنَ الجـريحـة يـا عصـامْ قـد راعـني فعـلُ الـلئـامْ
حشـدوا طـوائِفَ في ربـوعِ الشـرقِ تعبثُ بـالسـلامْ
سَلَبتْ كـرام النـاس حقَّهم وعـاثـت في الـظلامْ
ورمت بسيفِ البغى والعدوا ن شـيـخَـك والـغـلامْ

(١) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين ـ جـ ١ ص ٢٨١ ـ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٩م.

(٢) محمد عبد الله معيتيق ـ شاعر ليبي ولد في مطراته ـ عام ١٩٢٦م.

سكنت أراضيهم وقد سكنوا المغاورَ والخيامْ
وأتت بظلمٍ لم تكن من قبل تعرفه الأنامْ[1]

وقال أحمد رفيق المهدوي[2]:

أبعدَ فلسطينَ الشهيدةِ عندنا سرورٌ وعيد نحن بالحزن أخلق
فلسطين في الأعماق ما زال جرحها يعجُّ دماً أو أدمعاً تترقرقَ
فلسطينُ لولا الغربُ ما جاسَ حولها لشذاذِ إسرائيلَ شعبٌ ملفَّق
ولا صار ذِكْرُ اللاجئينَ إذا نما الى عربيٍ قلبُهُ يتمزَّق[3]

أما الشاعر منير البرعصي فقد شارك في الجهاد ووقع في الأسر ثم أفرج عنه عام ١٩٤٩م فقال في قصيدته (خواطر أسير):

خيمتي وهي جمادٌ أشفقتْ مما أعاني
لستَ أدري أين أهلي هل دَرَى أهلي مكاني
أتراهم بعد أسْري وصلوا دارَ الأمان
أم رماهم بسهام قاتلاتٍ من رماني
لكُم الله صِغاراً وكباراً فاعذراني
مسَّني الضُّرُ كأنِّي صرتُ أيوب زماني
في بلادِ الغرب جَدِّي وأنا الشرق جناني
لم أضق بالشرقِ ذرعاً لا ولا الشرق شفاني
بت أبكيه بأسري وهو لا شكَ بكاني

(١) محمد الصادق عفيفي ـ الشعر والشعراء في ليبيا ـ ص ٢٣٩ ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٥٧م.
(٢) الشاعر أحمد رفيق المهدوي: ولد في برقة ـ ليبيا عام ١٨٩٨م ـ هاجر إلى مصر مع أسرته ثم عاد إلى بنغازي ـ عزله الطليان ولاحقوه ـ هاجر إلى تركيا عمل بالتجارة عين في مجلس الشيوخ الليبي عام ١٩٥١م ـ له قريحة شعرية جياشة ـ توفي عام ١٩٦١م.
(٣) السابق ص ١٢٠.

قد وهبت الشرقَ روحي ... في جهادي ولساني
خضت في الحربِ غمارا ... عندما الشرق دعاني
تشهد الأعداء أنّي ... لم أكن في الحرب واني
قد تراشقنا شُواظا ... سابَقتْ دَقّ الثواني
وتركت القومَ صرعى ... لعبت فيهم جناني
مقلتي صُبّي دموعا ... بل غزيرُ الأرجواني
مقلتي ضاعتْ بلادي ... قبل ما الناعي نعاني
بيعتِ الأوطانُ بيعاً ... بدنانيرِ الجبان
إذ خيانات توالت ... في رحى الحربِ العوان
ليس للأبطال ذنبٌ ... وأنا العار عداني
إنّما العيب بزند ... إن نبا السيفُ اليماني[1]

وقد تكرر ذكر الخيانة عندالشعراء مما يدل على اجماعهم على هذه الحقيقة نعود الى صورة أخرى من شعر الكرمي (أبي سلمى):

يارفاقَ الدَّهرِ هل شَرَّدَكمْ ... في الورى غدرُ عدوٍ أم محبّْ
زعماءُ دنسوا تاريخَكم ... وملوكٌ شرَّدوكُمْ دون ذنب
وجيوشٌ غفر الله لها ... سَلَّمتْ أوطَانكم من غيرِ حرب
دولٌ تحسبها شرقيةً ... وإذا أمعنتَ فالحاكم غربي[2]

وأدلى دلوه بهذا الميدان الشاعر وليد[3] الأعظمي ليضع النقاط على الحروف فقال ١٩٤٩م قصيدة بعنوان ايه فلسطين:

---

(١) السابق ص ١٨٢.

(٢) د. صالح الأشتر ـ في شعر النكبة ـ ص ٤٤ ـ طبعة أولى ـ مطبعة جامعة دمشق ـ ١٩٦٠م.

(٣) الشاعر وليد الأعظمي من مواليد ١٩٣٠. الأعظمية بالعراق.. يعمل الآن في مكتبة المجمع العلمي العراقي ـ وهو خطاط عضو في جمعية الخطاطين العراقيين وله دراسات أدبية وشعرية.

لا القولُ يُرجِعُ ماضينا ولا الخُطَبُ فالقوم من لهـوهمْ أضناهُمُ التعبُ
راحوا يظنونَ أنَّ النَّاسَ في فـرَحٍ ولا يـظنـون أنَّ الحق مُغْتَـصَبُ
قد حَكَّموا الكافِرَ المسعورَ عن سَفَهٍ أمـرَ المـواطِنِ فـانتـابتهُمُ النُّـوَبُ
وحَكَّمـوا أمر قُدسِ العرب شرذمةً شعـارُها الغـدرُ والتضليل والشغب
هذي فلسطينُ كم قد ناحَ نائحها ومن كؤوس الردى في أرضهم شربوا
والقدسُ يحكمها الحاخام وا أسفي والعرب تندبُ والاسلام ينتحب
فكيف كيف صلاحُ الدين حَـرَّرها أبالنـوادي أم الهيئـاتِ يا عـرب
نار الرذيلة نـارُ الحقد قـد ملأتْ آفـاقُنـا كيف نصـرُ الله يقتـرب
فتلك أنـدلسٍ ولَّتْ وقـد لحقت بهـا فلسطينُ مـا للعرب لم يثبـوا
إن لم تعيـدوا حياة العـز في بلد بـه الخيـانـةُ أمٌّ والـنفـاقُ أب
ولم تـراعـوا حـدود الله بينكـمُ فالموت أولى لكم يـأيُّهـا العـرب[1]

وفي قصيدة له (تعالوا معي) ينادي للجهاد قالها عام ١٩٥٣م:

بماذا نجيب الله إنْ نحنُ لم نكنْ نصون ربوع القدس من شر عصبةِ
كـأنِّي بصوتِ القـدس يعلو مردداً تقـدم رعـاكَ الله جيشَ الأخـوةِ
وأمنيـتي أنـي أذودُ عن الـحمى وأروي ربوع القدس من دم مهجتي
وأعصُر قلبي في فلسطينَ من دمي لأسقي بـه أشجارَ مجـدي وعـزتي
حـرامٌ علينـا أن نعيشَ وحـولَنـا دمـاءُ الضحـايـا في مجـازر قبيـة
وحيفا ويافا والخليل وقسطل وفي دير ياسينٍ ولدٍّ ورملة[2]
أروني بـلاداً بـالخصـام تقـدمت أرونـي بـلاداً بـالكـلام استقلت

كما أنه دخل في عمق المشكلة عندما نادى بإنقاذ الناس من الجهل والفقر

(١) وليد الأعظمي ـ الشعاع ـ ص ١٢٠ ـ الدار الكويتية ـ طبعة ثانية ١٩٦٨.
(٢) السابق ص ١٧٢م.

والعبودية حتى ينشط من هذا العقال ويهب للذود عن بلاده فقال: عام ١٩٥٠م:

أنقذوا الشعبَ مِنَ الفقر ومن آفتهِ
ومن الجهل الذي خيم في ساحتهِ
علَّهُ ينهض بعدَ اليومِ من رَقدتِه
ليحق الحقَّ في وجه الطغاةِ الغاصبين.. أي وربي
يا كلابَ الغرب يا من قد عُرِفتم بالذوات
يا عبيدَ الغرب يا خدامه في الحفلاتِ
يا خصومَ الحقِّ يا أنذلَ مَنْ في الكائنات
أنتم العالة والعلة والداء الدفين.. أي وربي
يا أحطَّ الناس قدراً يالئاماً من لئام
تُنشِبون الحربَ فينا ثم تبغون السلام
هل حسبتم أنَّ للطغيان في الأرض دوام
أمهلونا سوف تلقون جنوداً بعد حين.. أي وربي
لا يغرَّنكُمُ الغربُ بتلفيق الكتبْ
كل ما يكتبه عنا ضلالٌ وكذبْ
همه أن ينزع الإيمانَ من قلب العربْ
ليكونوا فرقاً ثم يعودوا جاهلين... أي وربي[1]

ثم جاءت قصيدة (لوعة) عام ١٩٥٤ ليكتب فيها مشاهداته عن اليهود بعد أن أصبح لهم دولة مسخ فقال:

أتظنُّ خيراً بالفرنج وكلُّنا يدري بأنَّ الشرَّ عنهم يؤثر

(١) السابق ص ٥٢.

لا زلتِ أوروبـا ألـدَّ خصـومنـا ... فَعِـداكِ مشهـورٌ وظلمُـكِ أشْهَـرُ
قد جاءتِ البغضـاء منك صـراحةً ... هـذا ومـا يخفيـهِ صـدرُك أكبـر
ظنـوا الزعـامـة بـالقصـور فشيـدوا ... مـا شيـدوا من مـالنـا واستكبـروا
بـاعـوا البـلاد بـدرهم يـا ويحهم ... يـتهـافتـون إذا يَـرِنُّ الأصفـر
يـتـطفلون عـلى مـوائـد لنـدنٍ ... مثـل الـذبـابـةِ بـل أذلُّ وأحقـر
وإذا دعـتهـم لنـدن لـجـريـمـةٍ ... أبـداً عن التنفيـذ لم يتـأخـروا
يـا شعبَ إسـرائيـل مـا مِنْ فتنـةٍ ... عميـاءَ تحدثُ في البـلاد وتـظهـر
لـو أجـري التحقيقُ عن إشعـالهـا ... تـالله كـان لـكِ النصيب الأوفـر
فهناك في القدسِ الشريف مذابحٌ ... فيهـا تسيـلُ من الـدمـاء الأنهـر
والشيخُ قد قتَلَ النفوسَ فـلا ترى ... من محسنٍ يعـطي الفقيـر ويؤثـر
والـلاجئـون بحـالـة من أجلهـا ... ألمـاً تكـاد لهـا القلوب تفـطر
قد راحتِ الأمراض تلعبُ دورهـا ... منهم فَتُهلِكُ مـن تشـاء وتـقبـر
عـافتهم المـستـشفيـات وكلهـا ... خانت كما خان (الصليب الأحمر)
هـلا سمعتِ بما جـرى في قبيـةٍ ... من حيث أشـلاءُ الـورى تتبعثـر
أطـلالُ قـبيـةَ إذ تـلوحُ كـأنهـا ... آثـار بابـلَ ـ من بعيـدَ ـ وتـدمـر
بـالأمس عـامـرةُ الحيـاةِ ولم تكنْ ... عند الصباحِ سـوى حديثٍ يُـذْكَر
فعن اليمين نـرى بقـايـا جثـةٍ ... لعب الـرصاصُ بلحمهـا والخنجر
وتئن من تحت الـخـرائبِ طِـفلةٌ ... تبكـي وليسَ لـحقـهـا من يـثـأر
وعن الشمـالِ يصيح طفـلٌ بائس ... مـن وجـنتيـه دمٌ زكـيٌّ يـقـطر
عـودوا لـدينكُمُ يعـد لكُم الهنـا ... إن الـهنـاءَ بـديـنكـم مـتـوفـر
ولسـوف تعلم عن قـريب لنـدن ... عـلم اليـقيـن بـأننـا لا نُـقْـهَـرُ
سنحـطم الأغـلال عن أعنـاقنـا ... ونـذود عن أوطـاننـا ونحـرر[1].

(١) السابق ص ٩١.

وكتب محمود حسن[1] إسماعيل قصائد في هذا المجال منها:

(المسلمون) قال فيها:

من هؤلاءِ التائهونَ ... الخابطونَ على التخوم
أعْشَى خُطا أبصارهم ... رَهَجُ الزوابع والغيوم
والليلُ ينفُضُ فوقَهم ... مِنْ يأسِهِ قلقَ النجومِ
ويسوقُهم زمراً إلى ... حفرٍ مولولةِ الرجوم
والقيد يخصِف من صدورهم ... المذلةَ والهموم
ويسومُهمْ من عسفه ... ولظاه أبشعُ ما يسوم
فاذا غَفَوا فعلى مواطىء ... كل جلادٍ غشوم
وإذا صحوا فعلى خطا ... للذل خاشعة الرسوم
من هؤلاء الضائعون؟ ... أفهؤلاء المسلمون
أبداً تكذبني وترجمني ... الحقائق والظنون
أبداً وكيف وفي يمينهم ... كتاب لا يهون
أبداً وكيف ودون سطوته ... وتنتحر القرون[2]

وفي القصيدة الثانية التي نشرتها مجلة المسلمون أيضاً عام ١٣٧١ هـ بعنوان (اللاجئون) قال:

إنَّا غريبانِ ساقَ الظلمُ أدمعنا ... إلى فجاجٍ بها يُسْتَصْرخُ القَدَرُ
في رحلة لا تعي الأيامُ وجهتَها ... ولا يتاح لها حل ولا سفرُ

(١) الشاعر محمود حسن اسماعيل ـ ولد في أوائل القرن العشرين في ريف مصر في النخيلة، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس في كلية دار العلوم وتخرج منها عمل في الإذاعة المصرية انتقل إلى الكويت وعمل فيها خبيراً للغة العربية له (أغاني الكوخ) و (هكذا أغني) و (اين المفر) وغير هذه الدواوين ـ توفي بالكويت عام ١٩٧٧م ـ عن عمر يناهز السبعين عاماً.

(٢) مجلة المسلمون عدد ١ سنة ١٣٧١هـ ص: ٩١ ـ ٩٣.

ولا ديـار ولا أهـل ولا سـكـنٌ ... ولا حيـاة ولا عيش ولا عـمـر
كـأننا في خضمِ الـريح عـاصيـة ... من الغصـون رمى آجالهـا الشجر
تلفتي هـا هم في الأرض إخوتنـا ... شعب بـرمته في العـري يحتضـر
كـانوا بـأوطانهم كـالناس وانتهبـوا ... فما هُمُ من وجودِ الناس إذ ذكروا
مشـردونَ بـلا تيـه فـلو طُلبـوا ... تجـدد التيهُ في الأفـاق ما قـدروا
يلقى الشريدُ فجاجَ الأرض واسعةً ... لكنهم بمـدى أنفـاسِهم حشـروا
في خيمةٍ من نسيج الـوهم لَفَّقها ... ضميرُ باغٍ على الإسـلام يـأتمر
بئست سياستكم في كل ما نهجت ... فكل ما تدعيه كاذبٌ أشر
هذا السلامُ الذي نادتْ معـابُدُكم ... أم تلك مجزرة يخزى لها البشر[1]

وقال محمود أبو النجاة مخاطباً قادة الأمة:

يا قادة الشرقِ المهيضِ استيقظوا ... فـالغـربُ أعلنهـا لكـمْ شعـواء
حـربـاً تمسُّ الـدينَ في تقـديسِـهِ ... وَتُـبِـيـدُ أطـفـالاً لـكـم ونـسـاء
وتـزعمتهـا (انكلتـرا) وهي التي ... عقـدتْ لحـرب المسلمينَ لـواء
بـالأمسِ مَكَّنَتِ اليهـودَ فـأنشـأوا ... وسطَ المهـازلِ دولـةً عـرجـاء
وغدتْ فلسطينُ الشهيـدةُ موطنـاً ... لـهمُ وأصبـحَ أهـلُهـا غـربـاء
واليـومَ في مصرَ العـزيزةِ جَـرَّدَتْ ... جـيشـاً يـنـاجـزُ أمـةً عـزلاء
لـلشـرقِ داءٌ لا يُـرَجَّـى بـرؤُهُ ... إلا إذا أَخَـذَ (الكتـابَ) دواء[2]

ولقد دخلت في الحرب عناصر مؤ منة مجاهدة من الإخوان المسلمين من مصر والأردن وسورية، قاتلت عن يقين وإخلاص وأبلت في ساحات الميدان بلاء حسناً أخاف يهود ومن معهم ففطنوا لهذه الفئة وتآمروا عليها لو أدها قبل اشتداد عودها كما عملوا على

(١) السابق عدد/٢/ ١٣٧١ هـ ص ١٩٨ ـ السنة الأولى.
(٢) السابق عدد/١/ ـ ١٣٧١ هـ ص ٩٧ ـ السنة الأولى.

ضربها في المستقبل كلما فكروا بحرب جديدة مع العرب حتى تفرغ لهم الساحات من المجاهدين وينتصروا بسهولة على الخانعين وبذلك يُرهبون ويغنمون . . . والشعراء لم ينسوا جهاد هذه الفئة بل سجلوه مع أحداثه فقال وليد الأعظمي عام ١٩٥٣ م يذكر ذلك بقصيدة عنوانها (ذكرى الإمام) :

يـا قـومُ هـذي فلسـطينٌ تُحَـدِّثُنَـا ... حديث صدق عن الإخوان ذا عجبِ
بـالله يـاثُبَـةَ الإخـوانِ كيف غـدا ... فيـكِ اليهودُ أمـامَ الخيـرةِ النُجُبِ
يا قوم عشرونَ جندياً قد اقتحموا ... معسكرَ الكفر حتى صاحَ وا حربي
واللهُ أكبـر في الميـدان تـدفعُهم ... للانتصارات في ركضٍ وفي خبب
لسـان حـال فلسـطينٍ يقـول لنـا ... لله مـا فعـل الإخـوان في النقب
سـاروا لتـطهيـر بيت الله ثـانيـة ... كما إليه سرى من قبل خيرُ نبي
فمنبرُ المسجد الأقصى يهيبُ بهم ... وظنُـهُ في جنـود الله لم يـخب
يا قوم عشرون في الميدان وحدَهُمُ ... والخصم منسحب في أثر منسحب
سئلت في صِغَر كـالناس مسـألـةً ... عن خيـر مـا تَتَمَنَّـاهُ من الأرُب
وكنت بين رفـاق قـال أكثـرُهم ... إني لأطمـعُ في عـال من الـرتب
فكـان همَّك إحيـاءُ الشـريعـة من ... نـوم فكنتَ أخا قلب وأنت صبي
ظنـوا بقتلك يخبـو نـور دعـوتنـا ... فيستـريحـونَ هـذا ظَنُّ كـلِّ غبي
من يبـغ إطفاءَ نـورِ الله يمض به ... حتفٌ و يردي به الجبار في اللهب
ومـا هـزيمـةُ (فـاروقٍ) بخـافيـةٍ ... عنا وكيف غدا في شر منقلب[1]

## الإحساس بالمستقبل الرمادي للأمة :

أما الشاعر عمر بهاء الدين الأميري صاحب الحس المرهف وخبير السياسة فقد تنبأ بما

---

(١) وليد الأعظمي ـ أغاني المعركة ـ ص ١١٦ ـ دار النشر للطباعة ـ دمشق ـ طبعة ثانية ـ ١٩٧٥م .

سيكون حال البلاد مستقبلاً ان بقي الحاكمون أو أمثالهم على دفة الحكم . . فصدق ما تنبأ به . . بعد حين . . .

والـزاعـمـونَ قـيـادة الأ  وطـان أكـفـر مـن كـفـرْ
ويـفـاخـرون بـأنـهـم  أبـنـاءُ يـعـربَ أو مـضـر
قـد كنتُ أعجب كيف ولى  مـجـدُ قـومـي وانـدثـر
حـتـى رأيـتُ رجـالَـنـا  فمضى التعجب وانحسر
قـد كان يرجى نفعهم  لو يَصْدُق الخبرُ الخبر
فهم بتنميقِ المواعدِ  ليس يَعْدِلُهم نفر
لـكـنـهـم يـتـلاعـبـو  نَ بشعبهم لعب الأكر
ويُحَرِّكُونَ من الأجانب  مثلَ تحريك الصور
بـاعـوا حمى الأقصى ونخشى بيعَ صفقاتٍ أخر
مـا حيلتي يـا صـاحبي  قلبي تقطّع وانصهر
فـمـريـر واقـعُ أمـتـي  عن خطبة الداهي سفر
وغـدا الـتهـاون فـي غـدِ  الأوطانِ كابِرةَ الكُبر[1]

أما الشاعر أحمد فرح عقيلان[2] فقد كشف دعاة الظلم والخيانة الذين يسومون الشعب العسف والذل من أجل قتل روح الجهاد في نفوسهم وهذا تمهيد للمستعمر والطامع الأجنبي لغزو البلاد واحتلالها دون مقاومة فقال في قصيدته (قذائف الكلام) عام ١٩٥١ :

يـا بني العربِ يـا حُمَاةَ البيـدِ  أينَ عشقُ العُـلا وَعَزْمُ الأسـود

(١) عمر بهاء الدين الأميري ـ من وحي فلسطين ـ ص ٢٦ ـ دار الفتح ـ بيروت ـ ١٩٧٣ .
(٢) الشاعر أحمد فرج عقيلان من مواليد الفالوجة فلسطين ١٩٢٤ ـ عمل مدرساً لمادة اللغة العربية في مدارس فلسطين خرج بعد النكبة من الفالوجة التي دارت فيها أقسى المعارك وانتقل إلى خان يونس وبعد حرب ١٩٥٦ ترك قطاع غزة وانتقل إلى المملكة العربية السعودية وما يزال .

ما حياة الأحرارِ في ظلماتٍ ... من سياطِ الإرهاب والتهديد
وهلِ المترفونَ للنهبِ والسلبِ ... وأنتم للمدحِ والتمجيد
كلما قام مصلحٌ يَفْضَحُ الظلمَ ... أطاحتْ به حرابُ العبيد
هبَّ بالأمس شيخُنا حسنُ البناء ... يُعلي قواعدَ التوحيد
ويؤاخي القلوبَ منَّا ويَهدِي ... من هدى المصطفى لجيلٍ جديد
وإذا الغربُ ثائرٌ وإذا الأذ ... نابُ يُرضونه برأس الشهيد
دفنونا في مصرع الفقرِ أحيا ... ءً وشادوا الحانات فوق اللحود
كم زعيمٍ في الشكلِ من صنعِ هليود ... وفي العقلِ من عصور الجليد
طلبوا المجدَ بالموائدِ والميسرِ ... والرقصِ وابنةِ العنقود
لا تسلهم عن الكرامة والدينِ ... وسلهم عن الهوى والغيد
فشلت خطةُ الكلام فهيا ... نُسمِعُ الرأي من فم الصنديد
لا تُرَدّ الحقوقُ في مجلسِ الأمن ... ولكن في مكتب التجنيد
إنَّ ألفيَّ قذيفةٍ من كلامٍ ... لا تساوي قذيفة من حديد
يا بني العرب أنتُم أهلُ دينٍ ... وَذَكاءٍ وعُدَّةٍ وعديدِ
ما لكمْ والمبادىءِ الصفرِ والحمرِ ... وقرآنُنَا منارُ الوجود
يَرفَعُ المسلمينَ للعلمِ والإنتاجِ ... قبل التسبيح والتحميدِ
فاحمِلوا رايةَ القيادَةِ وامضوا ... لا تُبالوا بمغرضٍ وحسود
ولكم في محمدٍ قدواتٌ ... تحرزُ السبق في سجل الخلود[1]

وقال عام ١٩٥٢ م ناصحاً المسلمين:

بني وَطَني إليكم محضَ نصحي ... فلن تحظوا بأصدقَ من كلامي

---

(١) أحمد فرج عقيلان ـ حرج الأباء ـ ص ٧٦ ـ منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

هُزمنا يومَ ضاعَ الدينُ منا ... أليسَ الكفرُ مصدرُ الانهزام
وهمنا بالمناصب وهي غلٌّ ... وأسلمنا الأمانة للحرامي
إذا حَكَم المدائنَ مجرموها ... فما للحر فيها من مقام
فلا تثقوا بعبدانِ الأعادي ... ولا تَنْسَوا مؤامرةَ اللئام
أنوماً والخيامُ لها عجيجٌ ... بأعوال الأرامل في الظلام
أنوماً والأباةُ لهم أنينٌ ... بما يلقون في سجن الطغام
أنوماً والديارٌ تبيتُ تبكي ... لواء الدينِ في القدس الحرام
ثقوا بالله وارجو حسنييها ... وسيروا فالحياةُ إلى الأمام
فإما موتة البطلِ المضحي ... وإما عيشةُ الحرِّ الهُمام[1]

ويقول فؤاد الخطيب متفائلاً بالنصر:

لبيك غير مُرَوَّعٍ بجحودِ ... يا ثالث الحرمين في التمجيدِ
ايه فلسطينُ المؤرَّقُ جفنُها ... لكِ ما أردتِ هوىً وصدقَ عهودِ
كم محنَةٍ دَلَفَتْ إليكِ تسللا ... فوجدتِ يوم النصر غيرَ بعيد
والمسجدُ الأقصى المبارَكُ حولَهُ ... حِصن العروبةِ فيك والتوحيد
في كل شبرٍ من مُقَدَّسِ أرضها ... أثرٌ يتيهِ بروعةٍ وخلود[2]

أما الذي أنشد بحرقة للغرباء ووعد العودة فهو الشاعر هارون هاشم رشيد وفي قصيدته (إننا عائدون) قال:

يا أيُّها المشردون ... اللاجئونَ النازحونَ
الضاربونَ على الدروب ... الحائرون التائهون
الحاقدون على الطغاة ... الساخطون الناقمون

(١) السابق ص ٦٧.
(٢) فؤاد الخطيب ـ ديوان الخطيب ـ ص ٤٠٥ ـ دار المعارف بمصر ـ طبعة أولى ـ ١٩٥٩م.

يـا إخـوتـي وأحـبـتـي يـا أيهـا المستضعفـون
مهمـا تعـالى الجـائـرون وَحُـصِّـنَ الـمتـجبـرون
مهمـا مضـوا في أرضـنـا يـتبختـرون ويعـتـدون
يـجنـون سنبـل قـمحـنـا خلف الحـدود ويحصـدون
وعـلى الـمسـاجـد والـكـنـائس والـمعـاهـد يعـتـدون
لـكـنـهـم لا يـعـلمـونْ أنَّ الـغـداة سـيـهـزمـون[1]
قـولـوا لـهـم إنـا لـهـم إنـا لـهـا لـو يـعـلمـون
قـد قـالـهـا قـد قـالـهـا الـمتـحـررون المؤمنـون
يـا إخـوتـي وستـلتـقـونَ مـع الـصبـاح ستلتـقـون

وقال أيضاً:

سنقطع الأسلاك مهما حاولوا بسلاحهم وحرابهم أن يمنعوا
من هؤلاءِ سلِ الخنا عن أمهم وسل الزمان فإنه لا يخدع
سل (دير ياسين) وسل في (قبية) كم طفلة كم مرضع قد روعوا
وسلِ الشرائع كيف قد داسوا على أقداسِها متغطرسين وشنعوا
هيهاتَ ترهبنا وتمسكُ خَطْوَنا أسلاكهم عن حقنا أو تمنع
هيهات إن الزحف آت في غد والفجر موعدنا غدا والمطلع[2]

وقال أيضاً عام ١٩٥٥ م:

غداً سوف أزحف من خيمتي ومن حلكة الليل والظلمة
غداً سوف أزحف يوم النفير وأمشي أجلجل بالجولة

(١) هارون هاشم رشيد ـ عودة الغرباء ـ منشورات المكتب التجاري ـ بيروت ـ ط . أولى ـ ١٩٥٦م.
(٢) السابق ص ١٣.

وأدعو صحابي صحاب الحياة ... وأجمع للملتقى إخوتي
وأدفعهم للقاء الحبيب ... إلى موعد الثأر للعودة
إلى أرضهم أرض أجدادهم ... إليها إلى مهبط العزة
إلى القدس تواقة للقاء ... إليها إلى اللد والرملة
إلى شطِ يافا الحبيبِ الجميل ... إلى الغَورِ - والمرج والذروة
إلى ليل حيفا الحنونِ اللطيفِ ... إلى الكرمل الوادع النسمة[1]

وقال أيضاً (متى يعود أبي):

أمي سألتك عن أبي ... بالأمس يوم مضى وسار
ورأيتُ في عينيكِ ... أطيافاً ممزقة تدار
ورأيت شيئاً لا أزال ... أُحِسُّهُ قَلِقَ الأسار
شيئاً هنا في عمق ذاتي ... كالحنين كالانتظار
أمي أيسمعني أبي ... لو صحت يا أبتي إليْ
قد كان لي حصناً ألوذ ... إليه من دهري الشقي
ما بالُه أدعوه في شوقٍ ... فلا يأتي بشي
ما زلت أذكر يومَ سار ... هناك في الصف الطويل
وأنا وأترابي نصفق ... للبنادق والطبول
ورأيتَ موكبَه الحبيبَ ... كأنه عرسٌ جميل
ومضت شهور والعدو ... يدق بالغدر الذليل
وأبي هنالك لم يعد ... أبتي ولم يشفِ الغليل
حتى تأزمت النفوسُ ... وضجَ بالبؤس العويل
فإذا بصوت موجعِ الأناتِ ... يدعو للرحيل

(١) السابق ص ٢٣.

ما زلتُ أذكر غدرةَ الباغي وزمجرة المدافع
وأبي هنالك في الحدود منافح عنا مدافع
ورأيت يافا كلها وقفتْ مجالدةً تدافع
والنارُ تأكُلها وتهوي بالكنائس والجوامع
وهناك في الميناءِ جَمَّعنا شقاءُ النازحين
ما بين ولولةِ النساءِ وبين إعوال البنين
كل يفتش عن بقايا أهله في الهائمين
كل يفتش بالدعاء وبالدموعِ وبالأنين
ويسير زَورقُنَا الكئيبُ وكلنا شبح حزين
وتشتت الشعب الأبي مضيعاً في العالمين
في كلِّ عامٍ مجلسٌ للباحثينَ الدارسين

ونعود إلى الشاعر محمد المجذوب ليصف لنا ما حلَّ (بقبية):

ليت شعري ما دَهى قبية؟ ماذا قد عراها
ما الذي اجتاز حماها فمحاها
عصف الغدرُ بها تحت الدجى
فهي ركام من حطامٍ ودماء
لهفَ أحشائي على تلك الصبابا
وصغارٍ كالأزاهير تفتحنَ لأنداءِ الصباح
وشبابٍ عاقه الدهرُ عن المجد المرجّى
زُلْزِلتْ تحتهُم الأرضُ فراحوا كالهباء
مزقوا الليل بأصوات الحيارى
واستغاثات العذارى

وحماة الدار يا للعارِ في نومِ السكارى
لم تفت أسماعهم تلك النداءات ولكن
شاءَ (جنبول) فصموا عن صريخ الأبرياء
آه يا قبيبةُ لو تنفع آه
آه لو تكشف عن مكنون روحي شفتايه
دمك المهدور يا قبيبة قد فتَّق في الصدر الجراحا
رد طيف اللد والرملة للقلب وحيفا
وضحايا دير ياسين ودنيا الشهداء
لستُ يا قبيبةُ بالبائس لكني حزين
تنهش الآلام قلبي
حنقاً من زيغ شعبي
قد نسوا الله فهانوا واستكانوا
وسيبقون طعاماً
أبداً حتى يثوبوا
لسبيل الرشد من هدي السماء[1]

ونختتم هذه المقطوعات الشعرية المنتقاة بقصيدة للشاعر محمد الحسناوي[2] وهي وإن جاءت متأخرة في تاريخها لكنها لخصت حوادث فلسطين بدقة فكان سبب الاختيار...

وشكتْ فلسطينُ المصيرا  يدنو فيستبقُ النذيرا
في كل يسومٍ هجرةٌ  تُلقي على الأعناق نيرا

(١) محمد المجذوب ـ همسات قلب ـ ص : ٢٢٠ ـ دار العربية للطباعة والنشر ـ طبعة أولى ـ ١٩٧٠م.
(٢) محمد الحسناوي ـ ملحمة النور ـ دار الكلم ـ دمشق ـ طبعة ١٩٧٤م..

وبكل شبر صفقةٌ سفرت فما أبقت ستورا
بالأمس (حيفا) والموا نيءَ أجفلتْ ودعت ثبورا
لما هوى الصندوق صندو قُ الحرير ولا حريرا
لكنما البارود محشواً إلى الرشاش زورا
ومدسساتٌ أترعتْ واستكملتْ حملاً وقيرا
باسم التجارة يرتع الـ جزار في النعمى حُبورا
ويقود شبانُ اليهود كتائباً تسموا البحورا
فتجوسُ في طول البلادِ وعرضها شبحاً خطيرا
إن يمنعوا عنا السلا ح ويحبسوا عنا النصيرا
فَسَنُرخِصُ الغالي فداء الدينِ لا نبغي حصيرا
وسنشتري بثيابنا ودمائنا هذا النصيرا
لا بارك الله الألى عقواً وأولونا الظهورا
لما حمينا القدس والـ قطمونَ والبيتَ الشهيرا
كذبوا وضنوا بالرصاصِ وقستّروا حتى نبورا
وتآمروا سراً علينا نحن من سد الثغورا
قالسوا ارجعوا من حيث جئتُم واتركوا السور الحسيرا
فلأنتمُ خيرٌ من السكا ن ما أخزى الأميرا
خسئتْ وضلتْ عصبةٌ حجبت عن الشعب الأمورا
وتبجحت بالنصر لما أحرزت خزياً كبيرا
إنا على درب الجهاد إرادة قصمت ظهورا[1]

(١) الشاعر محمد محمود الحسناوي من مواليد جسر الشغور ـ سورية ـ حصل على ليسانس من كلية الآداب جامعة دمشق ـ عمل في التدريس ويحضر لنيل الدكتوراه له عدة دواوين شعرية (ربيع الوحدة) (في غيابة الجب) (عودة الغائب) (ملحمة النور) وله انتاج ديني وأدبي.